روايات عبير



هدية الربيع

زجاجة عطر من pure Silk

ساره كريفن

وجه في الذاكرة

١٣٦

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 136

وَجهٌ في الذاكرة

آثار الحب الأول تبقى محفورة في ذاكرة الانسان، وكثيراً ما تكون هذه البصمات كالجمر تحت الرماد.

دافينا جرحها الحب . . فانحنت كغصن قصفته عاصفة. تركها زوجها لويد لمدة سنتين . . لكنه عاد فجأة الى البلاد، فسافرت دافينا الى ويلز للقائه ومطالبته باطلاق سراحها والموافقة على الطلاق . . . وهناك تكتشف دافينا ان والدتها كانت وراء مشاكلها مع زوجها. تواجه الحقيقة لأول مرّة، بأنها لا تزال تحب لويد لكن هو ما هو شعوره . . . خاصة بعد ان تركها لمدة سنتين؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
DRAGON'S LAIR

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - غارقة في الأحزان

كان جوّ الغرفة الصغيرة خانقاً من كثرة الاشياء المكدسة، ومن رائحة الجلد، والورق، ودهان الاثاث العتيق. ومن الطبيعي ان يثير كل ذلك شعوراً بالضيق في نفس كل من يدخلها. هكذا شعرت دافينا غرير حالما دخلت الغرفة، ووجدت نفسها كأنها واقفة بين اكوام من الركام او الاطلال.

وظلت واقفة في وسط الغرفة، تتأمل محتوياتها، ونوافذها العالية التي بدت وكأنها لم تفتح ابداً منذ تركيبها. جاءت الى هنا وهي لا تدري ماذا يخبىء لها القدر. كانت حائرة، ومرتبكة، ومنفعلة للغاية، وحاولت جهدها ان تتغلب على مشاعرها المضطربة، فلم تنجح، كما انها لم تتمكن من اخفاء مظاهر العصبية التي كانت تنعكس بوضوح من خلال حركات يديها. وتفاقم شعورها بالخيبة حين راحت تراقب يدها اليمنى وهي تتحرك، بصورة تلقائية ولا شعورية، نحو اليد اليسرى لتغطيها، وتثير فيها ذلك الشعور الذي كان يراودها ايام كانت تضع خاتم الزواج في اصبعها، وتلك الرعشة الحلوة التي دغدغت آمالها واحلامها حين وضعته.

هذا وفيما بدت دافينا غارقة في ذكرياتها، التي اختلط حلوها ومرها بشكل يستحيل معه التمييز بينهما، كان محاميها، السيد بريستو، يتحدث مع احد الاشخاص على الهاتف بلهجة توحي بانه واثق من نفسه. كان يتكلم وهو يلوح بيده تارة، ويهز رأسه تارة اخرى،

بطريقة مثيرة وملفتة للنظر، اشبه بمن يقوم بجولات ويخرج منها منتصراً.

في هذه الاثناء، راحت دافينا تختلس النظر الى الملفات المكدسة على مكتبه، بصورة عشوائية، علها تهتدي الى ملف قضيتها، وتكوّن لنفسها فكرة عن مجرياتها، من خلال الاوراق المحفوظة فيه، غير ان السيد بريستو احبط محاولتها هذه، اذ راح يسرع في انهاء المكالمة الهاتفية.

وضع السماعة في مكانها والتفت اليها وهو يعتذر عن اطالة الحديث ويقول:

- آسف جداً يا آنسة دافينا! كيف الحال؟ وما وراءك من اخبار؟

قال لها ذلك وصمت وهو يتأملها طويلاً، كأنه يحاول قراءة افكارها، الى ان قطعت دافينا حبل هذا الصمت قائلة بدهشة:

- الاخبار عندك! جئتك لتزودني بالاخبار فوجدتك خالي الوفاض، ما الخبر؟

تأملها السيد بريستو، وقد زم شفتيه، كأنه يريد ان يوحي لها ان لا اخبار لديه. ثم اخذ يتأمل الملفات امامه، ويقلبها كيفما اتفق، الى ان اختار من بينها ملفاً، فرفعه ووضعه امامه، ثم رفع رأسه وقال:

- يؤسفني القول بأن لا جديد عندي اطلعك عليه سوى ان السيد لويد ما يزال يرفض الرد على رسائلي.

عضت دافينا شفتها من الدهشة وردت تقول متسائلة:

- هل انت متأكد من وصول رسائلك اليه؟ من المعروف ان السيد لويد دائم التنقل، من مكان الى اخر، مما يشكل صعوبة في ايصال الرسائل اليه، اليس كذلك؟ المهم، انك خيبت املي كالعادة.

- ربما كنت صادقة في حدسك، وهذا يعني بان الذنب ليس ذنبي، ولكن، كيف تفسرين رفضه الرد على ذلك العدد الكبير من الرسائل المضمونة مع اشعار بالوصول، التي ارسلتها اليه حتى الآن؟ لا تقولي لي بأنها لم تصله، اذ ان هكذا رسائل تعاد عادة الى مرسلها في

حال عدم تسليمها لصاحبها. شيء غريب ومحير للغاية! لا استطيع فهم او تفسير ما يجري.

صمت لحظة وهو يفكر، ويبتسم بلجاجة كمن يحمل في صدره سراً دفيناً، وينتظر فرصة مناسبة للبوح به، ثم التفت اليها وتابع قائلاً:

- دعيني ابوح لك بسر... بل ابشرك ببشرى عظيمة... لقد سمعت بأن السيد لويد عاد الى بريطانيا، و...

وقاطعته لتساءل بمنتهى الدهشة والعجب:

- صحيح؟ متى عاد؟ انا لا اصدق ذلك، مستحيل! نعم، مستحيل ان اصدق ذلك، لأنني اعرف جيداً بأنه لا يسافر ولا يعود بدون نشر الخبر في الصحف والمجلات، وسط هالة فضفاضة من الدعاية الطنانة.

- لكنه عاد الى بريطانيا، صدقيني يا دافينا، تأكدت من هذا الخبر وعرفت المكان الذي توجه اليه فور وصوله...

قال ذلك وصمت يفكر كأنه يحاول تذكر اسم ذلك المكان، ثم تابع قائلاً:

- اجل، تذكرت الآن اسم المكان الذي توجه اليه... نعم تذكرت... لقد توجه الى مكان يدعى بلاس غوين... اتمنى ان اكون لفظت اسم المكان صحيحاً.

- آه! عرفت المكان الآن، اظن بأنه يقع في ويلز، اليس كذلك؟ المهم، ارجو ان تساعد عودته على تسهيل الأمور، هذا كل ما اتمناه.

- ربما، ولكنني لست ادري كيف! هل نسيت بانه لم يتنازل ويرد على مجرد رسالة واحدة من رسائلي!

بدت دافينا محتارة ومرتبكة من سماع خبر عودة لويد. ولكن كان يصعب عليها تصديق مثل هذا الخبر، وهي التي تعرف جيداً، من خلال معايشته وخبرتها معه، ان لويد يأبى التنقل والتجول بدون الاعلان عن ذلك، وهذا ما كان يجعلها لا تصدق الخبر، اذ كيف

تصدق ذلك وهي تعلم علم اليقين بأن لويد، في زحفه الدائب نحو الشهرة والعظمة، يتوسل الدعاية كأفضل وسيلة لاضفاء المزيد من الشهرة والعظمة على شخصيته ومؤلفاته. وهكذا ظلت تتأرجح بين تصديق خبر العودة وعدم تصديقه، وهي تتمنى، في قرارة نفسها، لأن لا يكون الخبر صحيحاً، وان يبقى في اميركا الى ما شاء الله، وبدأت تشعر بالخوف من ان عودته ستضع نهاية للحياة الهادئة الهانئة التي نعمت بها اثناء غيابه.

في هذه الاثناء، كان المحامي يراقبها ويتأملها، وهو غارق في التفكير، عله يتوصل الى ايجاد طريقة ما يمكنه بواسطتها ان ينقذها من المأزق الذي تتخبط فيه. ثم تطلع اليها وخاطبها على نحو من الجدية والرصانة قائلاً:

- هل تذكرين بأنك قلت لي ذات يوم، ان زوجك سيوافق على الطلاق بمنتهى السرور وبدون اي تردد! اجل، هل لك ان تخبريني عن الدوافع التي جعلتك تعتقدين بانه سيوافق؟

تنهدت دافينا وردت قائلة:

- كانت هناك دوافع كثيرة جعلتني اميل الى الاعتقاد بانه سيوافق.

- وعلى افتراض انه رفض، هل فكرت بالخطوة التالية؟

- عندها، سيكون لكل حادث حديث.

- المسألة ليست بهذه البساطة لأنه سيكون عليك، اذا رفض الطلاق، الانتظار لمدة ثلاث سنوات. مفهوم!

- وما العمل؟

قالت ذلك بحدة وسكتت وهي ترتعش وتنتفض من حدة غضبها وانفعالها، فيما ظل السيد بريستو صامتاً، كما لو انه يريد ان يعطي لنفسه مزيداً من الوقت للتفكير، ولدافينا الوقت الكافي لاستعادة هدوئها، ثم التفت اليها وخاطبها بلطف قائلاً:

- لكنه القانون، يا آنسة غرير. ارجوك ان تفهمي هذا الواقع، وتقدري ظروفك، وتشفقي على نفسك، هذا هو منطق القانون،

وليس باليد حيلة.

- وما العمل؟

- ليس امامك سوى شيء واحد... اذا وافقت على تنفيذه، استطعت حل القضية.

- لست افهم ماذا تقصد! ارجوك ان تكون اكثر صراحة.

- حاضر! سأكون صريحاً جداً بشرط ان تكوني انت ايضاً صريحة معي، انا اعتقد بان الشيء الوحيد الذي يمكن ان يؤدي الى حلحلة المشاكل هو الاتصال بزوجك شخصياً، والا...

قاطعته وقالت بحدة:

- اخطأت الهدف، يا سيد بريستو، اذا كنت تقصد بأن اقوم انا بهذا الاتصال الشخصي.

ورد عليها قائلاً بلطف وبشاشة:

- ولم لا! هذا شيء طبيعي ومألوف، وغالباً ما يؤدي الى تسوية الأمور بين المتنازعين، بمنتهى السهولة والبساطة، مهما كانت الأمور معقدة. فكيف بالحري اذا كانت القضية بسيطة الحل كقضيتكما، خاصة انها محصورة بين طرفين اثنين بدون ان تتخللها اية تعقيدات او مداخلات، او اي نزاع حول الأولاد والثروة والمال وغير ذلك من الشؤون والشجون. لقد طلبت مني الصراحة وها انا قد وضعت جميع الأوراق امامك، ويبقى عليك ان تحسني الاختيار.

احتدت دافينا واغتاظت، لكنها ظلت صامتة تفكر بأن محاميها يحاول ان يضعها امام خيارين، لا ثالث لهما، فاما ان تتنازل عن كرامتها وكبريائها وترضى بالاتصال بزوجها شخصياً علها تستطيع اقناعه بالموافقة على الطلاق، واما الانتظار لغاية انقضاء المدة القانونية. ثم رفعت رأسها وحدقت فيه والدموع تتدحرج على خديها، وقالت:

- المشكلة يا سيد بريستو هي انني اكرهه واقسمت الا اراه. فكيف والحالة هذه تريدني ان اذهب لمقابلته شخصياً! كلا، لن

اذهب لمقابلته، لا اريد ان اراه ابداً.

ـ هذا يعني تعقيد الأمور ودفع القضية الى حائط مسدود، ارجوك ان تقبلي نصيحتي وتتصلي بزوجك شخصياً، وتبحثي معه القضية من كافة جوانبها، ومهما كانت النتيجة، فانها ستكون لصالحك، اذ ان المحكمة سوف تعتبر ذلك دليلاً على حسن نواياك.

ولكن دافينا ظلت متمسكة برأيها، بدليل انها ازدادت حدة وعصبية، وراحت تردد قولها:

لا، ابداً، لا لن اتصل به شخصيا...

فقاطعها السيد بريستو قائلاً:

ـ ارجوك ان تفهميني! هناك اجراءات قانونية لا يمكننا تجاوزها او تجاهلها. واعلمي بانه لا يمكن حل مشكلتك بمجرد نزع خاتم الزواج من اصبعك، او العودة الى استعمال اسم عائلتك. فهذه تصرفات شخصية لا يقرها القانون. صمت قليلاً يفكر، ثم تابع يقول: فكري في الموضوع بجدية، وادرسي الفكرة من كافة جوانبها، ثم ابلغيني قرارك النهائي خلال يومين. لا تنسي! انا بانتظارك كي اعرف كيف اتصرف.

نهضت دافينا متثاقلة وهي تقول بصوت خافت كالهمس:

ـ حاضر... حاضر! سوف ادرس الموضوع بكل جدية واهتمام، من يدري! ربما كنت على حق يا سيد بريستو، وربما ادت الفكرة الى نتائج طيبة.

قالت ذلك ومشت نحو الباب، حيث رافقها السيد بريستو وودعها قائلاً:

ـ اطمئني بالاً يا دافينا، وثقي بأن المحاولة لا بد من ان تعطي ثمارها، عاجلاً ام آجلاً. ومهما تكن النتيجة فانها تبقى افضل من الطلاق، للطلاق، كم هو بغيض وشنيع! المهم ان تحاولي الاستفادة من جميع الفرص المتاحة امامك، فلا بد من ان تنجح

واحدة منها لتبعد عنك الهموم، وتبدد الغيوم السوداء التي تظلل اجواء حياتك، انني اتطلع بلهفة وشوق الى مجيء ذلك اليوم الذي سيكون اسعد ايام حياتك. مع السلامة.

خرجت دافينا من المكتب تلفها الحيرة، ولا تدري الى اين تذهب. او ماذا تفعل. فكرت بأن تعود الى البيت لتخبر والدتها بما جرى بينها وبين السيد بريستو. ولكنها غيرت رأيها، اذ تذكرت بأن والدتها كانت تتوقع سماع خبر موافقة زوجها على تطليقها، وهذا امر لم يحصل، ولم يزل بعيد المنال، كما ان الفكرة التي عرضها عليها محاميها، لا يمكن ان تحظى بموافقة والدتها، بأية صورة من الصور.

لم يكن في جعبتها اي خبر سار تنقله الى والدتها، ففضلت تأجيل عودتها الى البيت، والذهاب الى مكان آخر، اي مكان يبعدها عن مقابلة والدتها اليوم، وعن سماع التهم التي ستوجهها اليها.

وهكذا قررت الذهاب الى الحديقة العامة، حيث يمكنها ان ترتاح من عناء ذلك الجو الخانق، ومن وطأة المناقشات الحادة التي دارت بينها وبين السيد بريستو.

ما ان انطلقت بها سيارة الاجرة في طريقها الى الحديقة العامة، حتى اخذت تراودها تلك الذكريات الحلوة التي عاشتها، عندما كانت تخرج برفقة لويد قبل الزواج. وتلاحقت صور تلك الذكريات الجميلة في خيالها، مقرونة باللوعة والاسى. فتذكرت تلك الساعات الطويلة التي كانت تقضيها برفقته، وفي الحديقة العامة ذاتها، التي فكرت بالمجيء اليها هذا اليوم، او تلك الأيام التي كانا يقضيانها في التجول حول المدينة، او زيارة الاماكن الاثرية والسياحية، والمتاحف، او حضور احدى المسرحيات في المساء، او تناول العشاء في زاوية هادئة من زوايا احد المطاعم المشهورة، على انغام الموسيقى الناعمة. وفكرت، والمرارة تحز في نفسها، بأن تلك الأيام كانت لا امتع ولا اروع، وهيهات ان تعود، آه! كم يبدو الفرق شاسعاً بين الأمس واليوم، وبين ما كانت عليه حياتها من سعادة وهناء، وما هي

عليه اليوم من تعاسة وشقاء.

هذا وبالرغم من اجواء الهدوء التي كانت تسود الحديقة العامة، ومظاهر الفرح والسعادة التي انعكست على وجوه زوار الحديقة، بدت دافينا غارقة في احزانها ومآسيها، كأنها غريبة عن هذا العالم، واسيرة الذكريات الكئيبة، وعاجزة عن مواجهة التحديات التي كانت تنتظرها، وعن فهم حقيقة ما جرى لها وما سوف يجري.

ظلت جالسة في الحديقة، بضع ساعات، بدون ان يفارقها الشعور بالحزن والأسى. وبدت شاردة الذهن كأنها تشهد عرض مسلسل تلفزيوني من الذكريات الدرامية، وهي تتوالى في ذهنها، حلقة اثر حلقة، من البداية حتى النهاية. فتصورت ذلك اليوم الذي شهد تعارفهما، ثم دعوته اياها لتناول العشاء معه في احد المطاعم، حيث عرض عليها فكرة الزواج منه، وهو يلح عليها بان ترضى به شريكاً لحياتها. وتبع ذلك صورة والدتها وما دار بينهما من نقاش عنيف حول موضوع الزواج، اذ عارضت والدتها زواجها من شخص كالسيد لويد، الذي وصفته بأبشع الاوصاف واقبحها. وهنا تذكرت ذلك الحوار العنيف الذي جرى بينها وبين والدتها حول فائدة الزواج من السيد لويد، فراحت تردده في ذهنها، وتقول:

ـ اماه، عرض السيد لويد علي الزواج، وقد وافقت، بصورة مبدئية، ريثما انال موافقتك.

ـ كلا يا ابنتي، انا لن اوافق على زواجك من رجل كهذا، لا افهم كيف تريدين الزواج منه، انه رجل سخيف وبليد وخشن الطبع ومتوحش.

ـ لكنه مؤلف وشاعر مشهور، ارجوك، يا اماه، لا تعارضي زواجي منه لمجرد ان اوصافه لا تعجبك او لعدم اقتناعك بشهرته.

ـ اية شهرة هذه التي تتحدثين عنها! شهرته اشبه بالمثل القائل: يذهب المال ويبقى القرد على حاله... الشهرة شيء عابر سرعان ما يطويها النسيان وتصبح في خبر كان.

ـ ولكن عمي فيليب يرى العكس.

ـ طبعاً! طبعاً! عمك فيليب ناشر ويهمه ارضاء المؤلفين، الحق علي، اذ كان يجب الا اسمح لك بحضور الحفلة التي اقامها على شرفه.

ـ هذا هو قدري. قدري ان اقابله واتعرف عليه.

ـ قدرك؟ انا أؤمن بالقدر. المهم، لن اوافق على هذا الزواج، مفهوم!

ـ مفهوم! ولكنني يا اماه، سوف اتزوجه، شئت ام ابيت.

عند هذا الحد تذكرت دافينا الصدمة التي اصابت والدتها من جراء تهجمها عليها بهذه الطريقة غير المتوقعة منها اطلاقاً، وكيف راحت تطيب خاطر والدتها، طالبة منها الغفران وهي تعانقها بحنان، ولسان حالها يقول:

ـ آسفة يا امي! ارجوك ان تسامحيني على زلة لساني. آه، لو انك تعرفينه على حقيقته.

ـ وهل تعرفينه انت على حقيقته؟ انك مخطئة اذا كنت تعتقدين بان رفقة ثلاثة اسابيع كافية لمعرفة الانسان، اي انسان، على حقيقته، يقول المثل: في العجلة الندامة وفي التأني السلامة. فلماذا كل هذه العجلة! رأيي ان تخطبيه لمدة محددة حتى اذا حدث بينك وبينه ما ليس في الحسبان، او ما لا يبشر بالخير، امكنك فسخ الخطوبة بسلام وبساطة، وبدون اية مشاكل.

ـ لا تخافي من عواقب زواجي المتسرع، فقد صممنا على انجاحه. مهما تقلبت الظروف والأحوال، وعلى الصمود بوجه جميع المحاولات التي يجوز ان تبذل من اجل ابعاد احدنا عن الآخر، وافشالها.

ـ انني افهم واقدر شعورك نحوه، ومع ذلك، انصحك بالتفكير طويلاً قبل الاقدام على الزواج بمثل هذه السرعة.

ـ لكنني وعدته بالزواج منه بأسرع ما يمكن نزولاً عند الحاحه، وبأن ابذل كل ما بوسعي لتحقيق احلامه.

- الح عليك بالزواج سريعاً خشية ان تغيري رأيك. يا له من خبيث ماكر! انه داهية في الذكاء ويعرف من اين تؤكل الكتف.

- ماذا تقصدين؟

- مسكينة انت، يا دافينا! انك طيبة القلب لدرجة ان طيبتك تعطل عقلك عن التفكير.

- وهل تظنينني ساذجة الى هذا الحد؟

- معاذ الله يا دافينا، قصدي ان اقول بانك تحاولين تحقيق احلامه بدون التفكير في الاسباب التي تدفعه للاسراع في الزواج منك.

- واي ضرر في ذلك؟ لماذا كل هذا التشاؤم والتشكيك؟

- كلا، انا لست متشائمة، ولكنه الشك هو الذي يدفعني الى التفكير بان هذا الانسان يحاول اصابة عصفورين بحجر واحد، الثروة والشهرة في آن معاً.

- كفى، كفى، يا اماه! كفاك تهجماً واتهامات. ثقي بانني سأبقى تلك الابنة الوفية التي عرفتها... ولكن ارجوك الكف عن تحقير الرجل الذي قررت مشاركته الحياة، حلوها ومرها، عسرها ويسرها، افراحها واحزانها، نجاحها وفشلها...

- اجل، لكنني لن اوافق على هذا الزواج، ان اوافق على زواج ابنتي من شخص ينتمي الى اسرة مغمورة، وابن عامل في احد المناجم، لا يهمه سوى الوصول الى عرش الشهرة والثروة بعد الزواج منك. انك لا تعرفين الأهمية التي يعول عليها من وراء سعيه للزواج بابنة شقيق ناشر مؤلفاته، فضلاً عن كونك ابنة شريك هذا الناشر ووريثته الوحيدة التي ينتظر ان ترث ثروة طائلة بعد بلوغها الخامسة والعشرين من العمر. هذه هي الاسباب الحقيقية الكامنة وراء الحاحه عليك بالموافقة على الزواج منه. والحقيقة غالباً ما تجرح...

كان بودها ان يتوقف مسلسل كل هذه الذكريات الحزينة، فتغادر الحديقة، وتذهب الى مكان اخر، علها بذلك تشعر ببعض الراحة، وتقضي الساعات القليلة الباقية من عطلتها لهذا اليوم بعيداً عن

الماضي ومآسيه.

لكنها ظلت عاجزة عن الافلات من خيوط الماضي وذكرياته. وسرعان ما بدأت تتذكر زوجها، مروراً بالحفلة التي اقيمت على شرفه، والتي شهدت تعارفهما، ومبادرته الى دعوتها لتناول العشاء معه في الخارج. فتصورت والخيبة تراودها، التغيير الكبير الذي طرأ على حياته، بدون ان تدرك الاسباب او الدوافع التي قلبت ابتسامته الى عبوس، ولباقته الى عجرفة، وقساوة، وبراءته الى خبث، وصدقه الى دهاء، وتواضعه الى تكبر، ومودته الى جفاء.

وتخيلته وهو يتقدم نحوها، بطلعته البهية، وابتسامته العريضة، ويقول لها بمنتهى اللياقة والأدب:

- يشرفني جداً ان ادعوك لتناول العشاء معي في الخارج ويسرني اذا كنت تتكرمين بتلبية دعوتي هذه.

واذا بها تبتسم له بصورة عفوية، وترد عليه قائلة:

- لكنني اخشى من ان تغير رأيك بعد ان تعرفني... وتصمت لحظة ثم تتابع القول:

- اهلاً وسهلاً بك! انا دافينا غرير.

وتأملها ملياً ثم حول نظراته عنها ليتطلع الى زاوية الصالة، حيث كان عمها فيليب يتحدث مع بعض الشخصيات، ثم سألها بدهشة:

- ابنته؟ وهو يشير باصبعه الى العم فيليب.

- كلا، انه عمي.

- تشرفنا!

- انني قريبة الشبه بأمي.

- هل تعرفينني عليها. بودي التأكد من مدى صحة المثل القائل: كما البنت كذا الأم، لمعرفة كيف ستغدو فتاة احلامي.

وقفت امامه محتارة فيما هو يحدق فيها، كما يفعل قاضي التحقيق اثناء استجوابه احد المتهمين، كأنه يحاول ان يسبر اغوار ذاتها لمعرفة مدى انسجام البراءة الكامنة في حديثها مع تلك البراءة الكامنة في

داخلها. او افهامها بأن ليس امامها سوى قبول دعوته والخروج معه لتناول العشاء في مكان ما، ومرافقته كظله الى ما لا نهاية. وتظل مع ذلك، صامتة، تفكر بعمق، حتى تتصور في النهاية ان قدرها وقدره كانا يسيران في اتجاه واحد نحو نقطة الالتقاء. ثم اشارت عليه بما يفيد قبولها لدعوته. واخذت طريقها، بصورة لا شعورية، نحو عمها فيليب، ودّعته واعتذرت له عن اضطرارها لمغادرة الحفلة قبل الأوان، وسط دهشة المدعوين وحيرتهم، لتلتقي السيد لويد في الخارج، ويذهبان معاً الى الحديقة العامة، ريثما تفتح المطاعم ابوابها لاستقبال الزبائن.

لم يكن مجيء دافينا الى الحديقة العامة بحثاً عن الراحة الا ليزيدها لوعة واسى. وقد حز في نفسها انجرافها وراء الذكريات المؤلمة والمؤسفة في آن، فيما الناس حولها، كل الناس، كانوا يتبادلون اطراف الحديث ويضحكون، ويسرحون ويمرحون، كأنهم يعيشون في دنيا غير دنياها. وما لبثت حتى ادركت ان الوقت قد داهمها، فهبت واقفة وسارت في طريقها الى الخارج.

كانت اصداء بعض العبارات المؤثرة التي تبادلتها مع والدتها، ومع السيد لويد، ومشاهد بعض الاحداث التي رافقتها، لا تزال تتوالى في خيالها فيما كانت تنتظر مرور احدى السيارات كي تنتقل بها الى مكتبها في دار النشر. وظلت تراودها حتى وصلت الى الدار.

مرت دافينا وهي في طريقها الى مكتبها في الطابق الثاني، بموظفة قسم الاستعلامات، التي ناولتها لائحة تتضمن اسماء الاشخاص الذين اتصلوا بها اثناء غيابها.

وتجدر الاشارة الى حقيقة ان التحاق دافينا بالعمل في الدار يعود الى عدة اسباب، منها، علاقة والدها السابقة بهذه الدار كمدير، وشريك، وعرض العمل الذي تلقته من عمها فيليب، وشعورها العميق بضرورة العمل لملء الفراغ الرهيب الذي طرأ على حياتها في اعقاب انفصالها عن زوجها.

ومع ذلك وبالرغم من جميع الاسباب المحقة والمعقولة التي جعلت دافينا توافق على العمل. كانت والدتها تعارض ذلك، بل ترفض رفضاً باتاً، ان تشتغل ابنتها في الدار، خشية ان يعود السيد لويد الى الاتصال بها نظراً لتعاقده معها. ولكنها عادت ووافقت، على مضض، بعد ان علمت بأنه لا يزال في اميركا، وبأنه لم يقدم شيئاً للدار من انتاجه منذ ان سافر اليها قبل سنتين.

وبعد لحظات، وصلت الى مكتبها، وباشرت فوراً بغربلة اسماء اولئك الاشخاص الذين اتصلوا بها اثناء غيابها، وتقرير المخابرة الأولى التي يجب ان تقوم بها، كانت لا تزال مشغولة بمراجعة الاسماء حينما دخلت عليها سكرتيرة عمها وبادرتها القول مبتسمة:

- آه! الحمدلله على السلامة! اتصلت بك عدة مرات فلم اجدك. السيد غرير يريد مقابلتك وها هو الآن بانتظارك.

تأملتها وهي تتنهد وتفكر بأن تطلب منها عدم البوح بانها غادرت المكتب خلسة. لكنها عادت وغيرت رأيها نظراً لعدم الخوض معها في امور من هذا القبيل سابقاً. ثم التفتت اليها وقالت لها بأنها ستوافيه بعد لحظات.

وفيما كانت تستعد لموافاة عمها في مكتبه، راحت تفكر بعذر ما تبرر به غيابها عن الدار، اذ تصورت بان يكون غيابها هو السبب الذي جعله يستدعيها لمقابلته. ثم استجمعت قواها، ولملمت خيوط افكارها، وخرجت في طريقها الى مكتب السيد فيليب، فوجدته منهمكاً بتسجيل بعض الرسائل، وجلست تنتظره حتى ينتهي.

الا ان السيد فيليب اوقف آلة التسجيل، بعد لحظات، وبادرها قائلاً وهو يبتسم:

- اهلاً وسهلاً يا عزيزتي! اخبارك! انا بانتظار سماع اخبارك الطيبة على احر من الجمر. هل بلّغك المحامي اي خبر من النوع الذي يفرح قلب والدتك؟

- اجل، اخبرني بانه علم بعودة السيد لويد من رحلته وذهابه من

المطار رأساً الى ويلز. هل علمت بذلك؟

- كلا، لم اسمع بهذا الخبر... ولكنه خبر يسرني سماعه...

وقاطعته لتقول متسائلة:

- لماذا يسرك سماع مثل هذا الخبر؟

- يسرني ذلك لأنه يوحي لي بان السيد لويد قرر الاستقرار والعودة الى العمل والانتاج.

- هكذا! لم يخطر ببالي ابداً انك ستتوصل الى استنتاج كل تلك الافكار من خبر كهذا.

حدق فيها وهو يرد عليها ساخراً ومداعباً:

- وماذا كنت تتوقعين مني ان استنتج؟ هل نسيت ان جميع آمالنا وتوقعاتنا مترابطة ببعضها؟ على فكرة، سمعت انك مصممة على حل قضية زواجك بصورة نهائية هل هذا صحيح؟ يسعدني سماع ذلك!

ويبدو ان ذكر موضوع الزواج اثارها، فتأملته طويلاً ثم اجابته قائلة بحدة:

- حسناً، هل لك يا عمي ان تحدثني عن توقعاتك... واي زواج هذا الذي تتحدث عنه... زواج يصعب وصفه وتصوره او بالاحرى تسميته زواجاً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة...

قالت ذلك وسكتت تفكر ثم تابعت حديثها بلهجة اكثر تهكماً وسخرية:

- الحق علي اذ كان يجب ان اتجاهل تقاليد اسرتي واتنكر لحسبي ونسبي واكتفي بمعاشرة السيد لويد خارج نطاق الحياة الزوجية. لو تصرفت على هذا النحو لما اصبح زواجي مصدرا للتندر والتهكم.

- مهلاً، مهلاً، يا عزيزتي! ارجو ان تفهميني. لم اقل شيئاً يثير النرفزة. انا اعرف الكثيرين ممن تزوجوا بدوافع اضعف واقل اهمية من الدوافع التي دفعت بكما الى الزواج، ونجحوا في حياتهم الزوجية.

- هل تقصد بانني سبب فشل زواجنا؟ اذا كنت تعتبر بان السير

بعيداً وراء الاحلام والأوهام يعقد مسيرة الحياة الزوجية، يجوز عندئذ لك ان تعتبرني المسؤولة عن الفشل.

تأملها العم فيليب بحنان وهو يفكر بانه اغاظها من حيث لا يدري فرد مستدركاً:

- سامحيني يا عزيزتي اذا كنت اخطأت بحقك، معاذ الله ان يكون قصدي اغاظتك. بالعكس اذ انني احمل بعض المسؤولية عما جرى بينك وبين لويد، وثقي ايضاً بان والدتك تشاركني مثل هذا الشعور.

- اعرف ذلك وقد حاولت ان اقنعها بالموضوع و...

فقاطعها قائلا:

- لكن المشكلة، يا عزيزتي، ان والدتك لا يمكن ان تقتنع بشيء لا تؤمن به...... اعتقد بان لويد اخطأ التصرف نحوها، اذ كان من اللباقة ان يتصرف معها بطريقة لبقة، او على الأقل يتظاهر نحوها بأنها جديرة بالاحترام. لا اظنه كان سيخسر شيئاً لو انه تصرف معها بأقل قدر ممكن من الكياسة واللباقة ولكنه، لم...

وقاطعته لتقول:

- انني اعرف نفسيته... انه يكره التظاهر والمجاملة الفارغة. خذني انا مثلاً على ذلك. لم يحاول اطلاقاً خلال صداقتنا الطويلة ان يقول فيَّ كلمة مديح او اطراء، لا على سبيل المجاملة ولا على سبيل المصارحة. كنت بنظره مجرد العوبة يلهو بها، لا اكثر ولا اقل.

- غريب! هذا شيء لم اعرفه عنه، هل انت واثقة مما تقولين؟

حدقت فيه من الدهشة وردت قائلة:

- ما كنت اتوقع منك ان تطرح علي هكذا سؤال، يا عمي، وانت ادرى الناس بما حصل. هل نسيت؟ انت تعرف، والكل يعرف انه سافر الى اميركا بمفرده وتركني هنا وحدي، ومرت الأيام بدون ان اسمع منه شيئاً، ثم دخلت المستشفى لانقاذ حياة طفلي فلم انجح... وكتبت اليه ارجوه كي يعود، ويبقى بجانبي، كي

يواسيني عندما كنت في امس الحاجة اليه. فماذا كانت النتيجة؟ تصور انه تجاهلني وفضل البقاء هناك للتلهي بانتاج واخراج برامج تلفزيونية سخيفة، تافهة، في حين كنت انتظر عودته بفارغ الصبر، وغالبا ما كنت اتصوره واقفاً بالباب كلما سمعت دقة على باب غرفتي في المستشفى. ومع ذلك، لم افقد الأمل، فاتصلت به هاتفياً. هل تعرف ماذا كان جوابه؟ انت لا تعرف، لكنني سأقول لك ماذا قال لي. قال لي ان اكف عن مضايقته وملاحقته وتعكير صفو حياته الهانئة التي يعيشها. هل هذا شيء معقول؟ هل هذا تصرف يليق بالرجال امثاله؟ عندها، صممت على الانتقام منه. لم انم تلك الليلة قبل ان انهي كتابة رسالة اليه أخبرته فيها بتصميمي على هجره وقطع علاقتي به الى الأبد واعتبار كل ما كان بيننا قد انتهى. ومع ذلك، لم يتنازل ويرد على رسالتي، وهكذا انقطعت اخباره وانقطعت علاقاتنا وما زالت، منذ ذلك اليوم حتى الساعة...

اطرق العم فيليب رأسه وكأنه كان يقول لنفسه: مسكينة انت يا دافنا صامتة، تارة تشهق وطوراً تتنهد كالأم المنكوبة... وعبثاً حاولت ان تضفي مسحة من الابتسام على ملامح وجهها الحزين. ثم التفتت الى عمها وقالت:

- كم يحز في نفسي كلما خطر ببالي ان تلك كانت النهاية... نهاية احلامي واحزاني، ولكن...

فقاطعها عمها ليقول لها بلطف وحنان:

- لا تخافي يا عزيزتي ما دمت حياً، وثقي بانني سأبقى الى جانبك. الحق معك... والحالة، كما وصفتها، لا تطاق ابدا. لكن يبقى علينا مواجهة كل تلك الأمور بالروية والتعقل، اليس كذلك؟

- نعم، ان ما تقوله هو عين الصواب.

هنا، فكر العم فيليب بأن يغير مجرى الحديث، عله بذلك يقنعها بما كان يجول في خاطره من افكار، فتأملها لبرهة ثم سألها:

- هل خطر ببالك يوماً ان تبحثي موضوع زواجك بعمق، بينك

وبين نفسك؟ فاذا لم تفعلي ذلك بعد، ارجوك ان تحاولي. انا متأكد بأنك ستتوصلين الى نتيجة ما، اذا فعلت ذلك...

صمت يفكر ثم تطلع اليها وتابع يقول:

- ما رأيك بالاتصال الشخصي؟

- ماذا تقصد يا عمي؟

- مجرد سؤال لمعرفة رأيك فيه.

- اظن بأنني فهمت الآن.

- اذن ارجوك دراسة هذا الموضوع باهتمام كلي تحسباً لأي طارىء في المستقبل القريب.

- لكن لا مبالاته، وصمته الرهيب، امران لا يطاقان. اظنه يتصرف على هذا النحو عن قصد. والا كيف يمكن تفسير احجامه عن الاجابة على الرسائل العديدة التي بعث بها المحامي بريستو اليه!

- ما العمل اذن؟

- لست ادري... من الواضح ان فكرة الاتصال بلويد شخصياً لاقناعه بالموافقة على الطلاق تحتل مركز الصدارة بين الحلول التي طرحت لمعالجة هذا الموضوع. لقد سبقك السيد بريستو الى طرح الفكرة اثناء مقابلتي اياه اليوم.

- صحيح؟ وماذا كان تعليقك عليها؟

- لا شيء سوى انني وعدته بدراستها وتبليغه قراري النهائي بشأنها.

- هذا يعني انك لم تعارضي الفكرة.

- كلا، لم اعارضها، اذ ليس من طبعي ان اعارض لمجرد المعارضة. خاصة اذا كانت الفكرة تسهل امامي الأمور.

وهنا، همهم السيد فيليب وابتسم ابتسامة عريضة كمن يكتشف شيئاً جديداً بصورة مفاجئة، وينتهز الفرصة للاعلان عنه، ثم حدق فيها وقال:

- اسمعي يا عزيزتي! اذا كنت توافقين حقاً على الذهاب

والاتصال بالسيد لويد شخصياً، فانني اقترح عليك الذهاب والاتصال به بصفتك مندوبة الدار، ومكلفة للتفاوض معه بشأن العقد المبرم بينه وبين الدار والذي لم ينفذ حتى الآن. وإياك ان تبحثي معه موضوع الطلاق، لا من قريب ولا من بعيد، او موضوع رسائل محاميك. اما اذا حاول هو التطرق الى موضوع الطلاق فليحاول، وعندها تعرفين كيف تتصرفين.

ـ لكن، هل تظن بأن هذه اللعبة ستنطلي عليه؟

ـ لا بأس. المهم هو ان الزيارة ستفاجئه، وقد تؤدي الى نتائج طيبة. آه، لو خطرت ببالي هذه الفكرة قبل توكيل المحامي بريستو لكانت وفرت عليك الكثير من المتاعب والمآسي، لا يهم، المهم ان تذهبي قريباً بدون ان تراودك اية فكرة بالدخول في معركة معه، والا ستكون النتيجة مخيبة لآمالنا كلنا.

وبدا للعم فيليب ان دافنيا كانت راضية عن فكرته الجديدة، وربما اصبحت مستعدة للسفر الى مقاطعة ويلز، حيث يقيم لويد الآن، على الفور. وقد كان صادقاً في تصوره، اذ بادرته قائلة وهي تبتسم:

ـ موافقة، يا عمي! لا اظن بان هناك اية فائدة ترجى من انتظاره للقيام بالخطوة الأولى. سأقوم بهذه المحاولة، وليحدث ما يحدث.

وانشرحت اسارير العم فيليب لدى سماعه ذلك، فراح يتأملها وهو يداعب ذقنه باصابعه، ثم اجابها قائلاً:

ـ ولا تنسي ان تبشريه بالجولة الجديدة التي ستكلفه الدار القيام بها للولايات المتحدة بعد اكمال الترتيبات الخاصة بها. اعتقد بأن هذا كل ما عندي. واتمنى لك التوفيق والنجاح في مهمتك. مع السلامة!

خرجت دافنيا من مكتب عمها وتوجهت فوراً الى مكتبها. الا ان خبر الاعداد لرحلة جديدة يقوم بها زوجها الى الولايات المتحدة، اقلقها واربكها. اذ انها لم تنس بعد النكسات والنكبات التي عانت منها بسبب الرحلة الأولى التي قام بها بمفرده، بعد ان كانت تعد

نفسها لمرافقته، وتضع الخطط المختلفة لزيارة واشنطن، وسان فرنسيسكو، ونيو اورليانس، وشلالات نياغرا، بالاضافة الى المرارة التي شعرت بها لحظة عرفت الشخص الذي عرقل موضوع سفرها الى اميركا لتمضية شهر العسل هناك.

دخلت الى مكتبها واغلقت الباب وراءها، ثم جلست وراحت تتأمل الأوراق المكدسة على مكتبها. وكم كانت دهشتها عندما وجدت بين الاوراق مخطوطة كتاب يحكي قصة زواج فاشل، كما تبين لها من بضع صفحات طالعتها، فوضعتها جانباً والقت برأسها على المكتبة، وغرقت في لجة من الصمت، كمن كان يتابع مشاهد حلم من الاحلام الغريبة، او كمن كان يحاسب نفسه ويقارن بينه وبين كل من كانت له علاقة بالموضوع، عله يصل الى معرفة الحقيقة، في غفلة من الزمن، ووسط اصداء هذا الصمت الرهيب. وكأني بها تساءلت، في غمرة هذا الانفعال الذي داهمها وهي تقرأ مقدمة قصة مماثلة للقصة التي كانت تعيشها، عن سير الاحداث التي بدأت تتوالى منذ زواجها. لا شك في ان دافنيا سألت نفسها، وحاولت الاجابة عن كل سؤال طرحته على نفسها بنفسها، علها تتوصل الى معرفة الحقيقة، فترتاح نفسياً، وتعطي لكل ذي حق حقه.

و أول سؤال تصورته هو: ترى، متى وكيف بدأت المشاكل؟ ومن هو الذي افتعلها؟ هل افتعلتها امي؟ ربما! من يدري. ربما كانت هي التي زرعت بذور الشك بيننا قبل ان نحتفل بزواجنا. لماذا جاءت الى غرفتي في صبيحة ذلك اليوم الذي كنا سنحتفل بزواجنا فيه؟

وهنا تصورت والدتها وهي تختلس النظر اليها من شق الباب، بوجهها الشاحب، وقهقهاتها الساخرة، وكلماتها اللاذعة، وتذكرت ما قالته لها، وراحت تردد اقوالها بينها وبين نفسها: لو كنت تتمنين لي السعادة لما كنت تستعجلين الزواج من شخص غريب وبعيد عنا. لماذا كل هذه العجلة؟ لو كان زوجك المنتظر يتحلى ببعض صفات المرحوم والدك، من حيث اللطف والتهذيب والاخلاق وخاصة

احترام الغير لكنت افهم ظروفك وابارك هذا الزواج.

اكتفت دافينا بالاصغاء الى والدتها وهي تلقي عليها محاضرة عن آداب السلوك وحسن المعاملة. كان بودها ان ترد على كل كلمة قالتها لها، ولكنها احجمت عن ذلك احتراماً منها لرمز الأمومة. كان بودها ان تذكرها بقدسية الاسرار الزوجية وواجب الاحتفاظ بها. وكادت ان تذكرها بجهلها قواعد اجراء المقارنة، وافتقارها الى الشجاعة الادبية للاعتراف بالحقيقة، وان تذكرها بالحياة البائسة التي عاشتها تحت كنفها منذ ولادتها وحتى وفاة والدها، فضلاً عن معاملتها الفظيعة لوالدها، وكيف كانت تبادله لطفه وتهذيبه وتسامحه بالكبرياء والعجرفة والوقاحة وقلة الحياء... كان بودها ان تذكر والدتها بكل هذه الأمور، ولكن تقديرها واحترامها لرمز الأمومة منعاها من قول ذلك.

وما ان غاب شبح والدتها من خيالها حتى برز لها شبح لويد، ساعة سبقها في الوصول الى قاعة مجلس عقود الزواج، فتصورت الشكوك والظنون التي رافقتها خلال جميع حركاتها وسكناتها، ابتداء من الاحتفال بمراسيم الزواج، مرورا بالحفلة التي اقامها لها عمها فيليب بهذه المناسبة، ولغاية وصولها الى عتبة الشقة التي كان يقيم فيها... نظرات شاخصة فاحصة... اشبه بنظرة السيد الى عبيده... نظرات دفعتها دفعاً الى الاستنتاج بانه يريد الايحاء لها بانه اصبح سيدها المطاع واصبحت هي خادمته المطيعة، خلافاً لما كان يوحي لها قبل الزواج من مودة، واحترام، وتقدير... ثم تصورت الحيرة التي اصبحت تتخبط فيها حول تفسير ايحاءاته واشاراته التي كان يبثها بنظراته الباردة والشاخصة التي لا تخلو من الظنون ومحاولة فرض الارادة... عند هذا الحد، بدأت ملامح زوجها ونظراته الغريبة تختلط بشبح والدتها وكلماتها المعارضة لزواجها بمثل هذه السرعة، والناصحة لها بضرورة التريّث واخذ الوقت الكافي لمعرفة رفيق العمر على حقيقته، فاعتبرت والدتها محقة في ما ذهبت اليه.

خلاصة القول ان دافينا، بالرغم من تصوراتها الشاملة بحثاً عن الاسباب الحقيقية الكامنة وراء النكسات التي تعاني منها، ظلت عاجزة عن الوصول الى قرار نهائي وحاسم بشأنها، يضع حداً للتأويلات التي كانت تدور حول تلك الاسباب. وظلت تتأرجح بين الشك واليقين بسبب التناقضات التي كانت تتجاذبها. مثلاً، كانت تتصور بان زوجها بدأ يعاملها بقساوة واحتقار بعدما تعرض للاهانة والاحتقار من قبل والدتها، ثم تغير رأيها وتقول ان والدتها كانت على حق عندما نصحتها بعدم التسرع في الزواج، واخذ الوقت الكافي للتعرف على فتى الاحلام. والا فانها ستندم ساعة لا ينفع الندم، الى اخر ما هنالك من شؤون وشجون، ومن مطابقات وتناقضات. حتى انها حملت نفسها قسطاً من المسؤولية عما جرى، اذ انها امضت الفترة القصيرة التي سبقت الزواج، في اللهو والمرح، وزيارة المطاعم، والحدائق العامة، والمعارض، والمسارح، والمتاحف، والمكتبات، والمسابح، بدون ان تحاول التعرف على رفيق العمر بعمق. واكتفت بمعرفة اسمه، واسم مدرسته وجامعته، وعناوين الكتب التي الفها، وانواع الطعام المفضلة لديه وغير ذلك من الأمور السطحية. وها هي الآن تدفع الثمن.

٢ - واحة الدموع

انطلقت دافينا بسيارتها في الصباح متوجهة الى بلاس غوين حيث يقيم السيد لويد منذ عودته الى البلاد من اميركا. كانت الرحلة طويلة، ولكنها ممتعة وشيقة، اذ كانت المنطقة الممتدة من لندن الى بلاس غوين مليئة بالمناظر الطبيعية الجميلة، مع ما يتخللها من روافد مائية جارية وسط الحقول والبساتين، ومرتفعات جبلية، وتلال، وهضاب، ووديان، تعكس الحياة الريفية بأبهى صورها ومعانيها ومفاتنها، خلافاً لمظاهر الحياة في المدينة.

سارت في الاتجاه الذي يؤدي الى منطقة بلاس غوين، حسبما تشير اشارة السير، وهي تتوقع بأن تصلها بعد فترة قصيرة، اذ خيل لها أن المنطقة تقع على مسافة بضعة أميال من شارة السير. ولكنها أخطأت التقدير، أو ان دائرة حركة السير اخطأت في تثبيت تلك الاشارة بدليل أن المسافة التي قطعتها دافينا تجاوزت مئات الاميال، واستغرقت أكثر من أربع ساعات، قبل وصولها الى مناطق مأهولة بالسكان.

وكثيراً ما فكرت بالعودة من حيث أتت. كان يراودها مثل هذا الشعور كلما شعرت بالوحشة والوحدة من طول المسافة، ووعورة مسالك بعض الطرق الجبلية وصعوبة السير عليها. إلا أنها كانت تعود وتغير رأيها، وتتابع المسيرة بالرغم من جميع المشقات التي تواجهها. فقد صممت على القيام بهذه المغامرة، وانجاز المهمة التي جاءت من أجلها، وهي مهمة يهون في سبيلها ركوب المصاعب والمتاعب.

كانت تحمل معها رسالة خاصة موجهة من العم فيليب الى السيد لويد، تتضمن بالاضافة الى تفاصيل الرحلة الاميركية التي سيقوم بها لويد قريباً، موضوع تخويل دافينا صلاحية التفاوض معه، باسم الدار، فيما يتعلق بكافة المواضيع المتعاقد بشأنها مع الدار. وهذا ما أشاع الرضى والارتياح في نفسها، لأن ذلك سيمكنها من المحافظة على ماء الوجه، والتفاوض معه مفاوضة الند للند، واختبار حقيقة نواياه بالنسبة الى موضوع الطلاق.

كانت دافينا قد أخبرت امها عن عزمها على السفر والاتصال بزوجها، وأطلعتها على كافة الاسباب المعروفة وغير المعروفة التي أهابت بها للقيام بهذه المغامرة. وكان هذا الخبر صدمة عنيفة لوالدتها، التي رفضت تصديق الاسباب التي تعللت بها دافينا للقيام بهذه الرحلة، وظنت بان ابنتها كانت تحاول تضليلها، فراحت تبكي وهي تقول بصوت مترجرج: انك تكذبين علي يا ابنتي... نعم، انك تكذبين! اظنك عائدة اليه بعد كل الذي جرى، أليس كذلك؟ فلماذا التذرع بأسباب واهية... غير صحيحة... كاذبة... انك عائدة اليه، اليس كذلك؟

وعبثاً حاولت اقناعها بالاسباب الحقيقية الكامنة وراء قيامها بهذه الرحلة. فلم تقتنع. رفضت ان تصدق بان دافينا كانت ذاهبة في رحلة طويلة، شاقة، مضنية، لمجرد سؤال زوجها عن سبب عدم رده على رسائل محاميها، أو لمجرد تسليمه رسالة من العم فيليب. حتى ان ذكر اسم العم فيليب اثناء الحديث جعلها تتصور بأنه كان متورطا في الموضوع، وربما يسعى جهده لتحقيق المصالحة بين ابنتها وزوجها. وما كان منها إلا أن همهمت وتنهدت وهي تقول:

- الآن عرفت الحقيقة... حقيقة الدور الذي يلعبه العم فيليب من وراء الستار... وها هو يدفعك الى السفر كي تعودي الى أحضان ذلك العجيب الغريب، لا لشيء الا نكاية بي... انه يكرهني... نعم، انه يكرهني.

وأعادت دافينا الكرة بمحاولة اقناعها بحقيقة الاسباب، فلم تنجح، اذ ظلت والدتها متشبثة برأيها، وصارحتها القول بأنها لو لم تكن عائدة اليه، لكان العم فيليب أوفد شخصاً سواها للاتصال بالسيد لويد.

كما رفضت الوالدة تصديق ادعاء ابنتها بأن ايفادها للاتصال بالسيد لويد كمندوبة عن الدار كان لمجرد توفير تغطية مشرفة لها في حال تطرّق زوجها، من خلال محادثاتها، الى موضوع حياتها،وتصديق كافة الاسباب والدوافع التي سردتها ابنتها، بعيدا عن المشاكل والمشاكسات. أجل، رفضت الوالدة تصديق كافة الاسباب والدوافع التي سردتها ابنتها. ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى فقدان الثقة بينها وبين السيد لويد، وانعدام الفائدة من التعامل معه بطريقة من الطرق اذ لم يكن في نظرها سوى ذلك الرجل البربري الذي يتنكر لكافة مبادىء الشرف والاستقامة، وإلا لما كان سافر الى اميركا بمفرده، وترك زوجته وراءه تعاني آلام الوحشة والوحدة والمرض.

ليس هذا فقط بل راحت تدافع عن نفسها وتنفي مسؤوليتها وعلاقتها بالاسباب التي جعلت دافينا تعدل عن مرافقة زوجها الى أميركا، رداً على تذكيرها اياها بالوعكة الصحيحة التي ألمت بها يومذاك واستدعت بقاءها هنا بغية الاشراف على راحتها ومعالجتها.

ولكن دافينا، فكرت بعدم وضع اللوم كله على والدتها، وبوضع حد لكل هذا الجدل العقيم، الذي لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة الى شؤون الساعة، طالما لا يمكن اعادة عقارب الساعة الى الوراء. فماذا يفيدها الآن اثارة التهم حول الشخص المسؤول عن عدم مرافقتها لزوجها في رحلته الاميركية، او عن الطفل الذي فقدته قبل الاوان، وغير ذلك من الشؤون والقضايا التي أصبحت كلها في ذاكرة الماضي. وتذكرت كيف ان زوجها نفسه لا يزال يحملها مسؤولية فقدان طفله، ويرفض اطلاقاً تصديق حقيقة ما حدث لها وادى الى عملية الاجهاض، التي كانت نتيجة تعرض زوجته لصدمة

قوية، نقلت على اثرها الى المستشفى، واجريت لها عملية اجهاض الجنين، نزولا عند رأي الاطباء.

خطرت ببالها تلك الذكريات وهي مستمرة في سيرها نحو الهدف المنشود. قطعت مئات الاميال على مدى عدة ساعات، بدون ان ترى اي أثر للبناء والعمران. وكادت تفقد الامل بوجود منطقة اسمها بلاس غوين، بعد ما أصبحت، شارة السير التي تحمل هذا الاسم بعيدة عنها مئات الاميال الى الوراء، لولا أنها لم تكن مصممة، هذه المرة، على تنفيذ المهمة التي جاءت من أجلها.

وبعد مسافة غير قصيرة، بدأت تباشير الأمل تظهر أمامها، حين شاهدت من بعيد أعمدة من الدخان تتصاعد من قلب الغابة، وفكرت بأن لا بد من وجود بعض الاماكن المأهولة هناك، وباحتمال العثور على مكان زوجها.

وهكذا بدأت بتخفيف سرعة السيارة، كي تنعطف بها الى الطريق الضيقة، وتابعت سيرها في الاتجاه المؤدي الى احدى القرى، وفقا لاشارة السير. وبعد لحظات، وصلت الى تلك القرية، التي كانت بيوتها لا تتجاوز عدد أصابع اليد. ثم مرت بمكتب للبريد، وحانوت، ومحطة بنزين، وفندق صغير تعلو مدخله صورة تنين باللونين الاسود والاحمر، بالاضافة الى عدة اكواخ وبيوت ريفية، تحمل اشارات واسماء متنوعة، لم يكن بينها اي اثر للاسم الذي تبحث عنه... أي بلاس غوين. وهناك تساءلت في نفسها عن الدور الذي يمكن للسيد لويد ان يلعبه في حياة مثل هذه القرية المتواضعة، في حال وجوده فيها.

بعد ان عجزت عن الاهتداء على اي مكان يحمل اسم بلاس غوين، توجهت الى مكتب البريد علها تجد هناك من يرشدها الى مكانه. لكن المكتب كان مقفلاً. عندها، فكرت بالذهاب الى الفندق، حتى اذا حالفها الحظ تتوجه اليه، والا فانها ستمكث في الفندق، كي تستريح من عناء الرحلة، وتتناول فنجانا من الشاي او

بعض المرطبات. وهكذا كان.

كانت موظفة الاستعلامات في استقبالها على الباب، حينها وصلت، ودعتها للدخول بكل بشاشة، ثم رافقتها الى الصالة، وهي تقول لها مداعبة:

- اظنك قادمة من مكان بعيد... يبدو ان الرحلة كانت طويلة.

- بل شاقة ومرهقة ايضا. انني تعبة ومرهقة للغاية. هل لك...

فقاطعتها الموظفة لتقول وقد تصورت بحدسها ان هذه الصبية بحاجة الى شيء ينعشها ويعيد اليها نشاطها وحيويتها:

- لحظة وأحضر لك بعض المرطبات!

- لا، شكرا، ارجوك ان تحضري لي بعض الشاي.

- حاضر... لحظة فقط ويحضر الشاي!

كان الطقس باردا في الخارج، الا أن ذلك لم يمنع دافينا من الخروج والجلوس في حديقة الفندق، حيث راحت تشرب الشاي، على انغام خرير مياه النهر بمحاذاة الفندق، في طريقها الى قلب القرى، لتتابع انسيابها من هناك الى الحقول والسهول والبساتين الشاسعة، ودهشت عندما شاهدت الطاولات والكراسي موضوعة بكثافة في الحديقة، مع ان الفندق يقع في قرية صغيرة كهذه، والمكان يبدو شبه مهجور، والحركة معدومة فيه.

ويبدو أن موظفة الاستقبال ادركت بحدسها الدهشة التي كانت تراود دافينا فاقتربت نحوها وهي تقول:

- لا شك في أن كثافة الطاولات والكراسي وقلة أو بالاحرى ندرة الناس تثيران الدهشة، ولكن هذه الدهشة تزول بعد معرفة الحقيقة. أجل، عائلات كثيرة تأتي الى هنا دائما لتمضية عطلة نهاية الاسبوع... ومن المتوقع ان يرتفع عددها كثيراً في المستقبل القريب، خاصة بعد ان يستأنف معمل الصوف نشاطه.

- معمل صوف؟ وأي مصنع يكون هذا؟ أين يقع هذا المعمل؟

- انه مصنع قديم يدعى بلاس غوين... الاعمال جارية فيه على

قدم وساق لتجديده واعادة تأهيله للعمل في محاولة للحد من هجرة الشباب...

فرحت دافينا عندما ايقنت بأن الامور تسير في مسارها الطبيعي، بعد سماعها الموظفة تذكر الاسم الذي جاءت من أجل البحث عنه. وفكرت بأنها ستتوصل، عاجلا ام آجلا، الى معرفة مكان السيد لويد.

وما ان انتهت دافينا من شرب الشاي وتناول بعض الطعام حتى جاءت موظفة الفندق تسألها عما اذا كانت تنوي النزول في الفندق، وعن المدة التي تنوي ان تمكثها.

موضوع نزول دافينا في الفندق أمر مفروغ منه، غير ان مدة بقائها فيه تبقى مرتبطة بالمهمة المكلفة بها. وهذا كان جوابها عن السؤال الذي طرحته عليها الموظفة. ثم سألتها عما اذا كانت تعرف شخصاً يدعى لويد... أديب ومؤلف وشاعر...

فردت موظفة الفندق قائلة بدهشة عارمة:

- آه! السيد لويد... نعم اعرفه... انه موجود هنا... في بلاس غوين... انه صاحب المكان...

- وماذا أيضاً؟ يسرني معرفة المزيد عنه، وأكون شاكرة اذا زودتني بأية معلومات اضافية بهذا الخصوص.

- طبعاً! طبعاً! ولكنني أفضل ان أترك ذلك للسيدة باري عمة السيد لويد وابنتها ريانون وكنت على وشك أن اعرض عليك مرافقتك الى مركزهما... القريب من هنا.

فوجئت دافينا عندما أخبرتها موظفة الفندق ان عمة السيد لويد تملك وتدير ناد للفروسية، يقصده هواة ركوب الخيل، من كل حدب وصوب لممارسة هذه الهواية باشراف الآنسة ريانون.

وشاءت أن تسأل موظفة الفندق لتحجز لها غرفة تقضي الليلة فيها، وتعود الى لندن في الصباح. غير أنها غيرت رأيها، وقررت الذهاب الى بلاس غوين، وهي تتوقع سلفا من السيدة باري ان ترحب بقدومها، فتستقبلها وتقدم لها غرفة تبيت فيها الليلة، خاصة

اذا اخبرتها انها أتت الى هنا بمهمة رسمية. ولكنها، ما ان انطلقت بسيارتها وقطعت مسافة قصيرة حتى راحت تتمنى ان يكون النادي مكتظا بهواة ركوب الخيل، وجميع غرفه محجوزة، بحيث يصعب على عمة لويد تأمين غرفة لها للمبيت فيها، فتجد أمامها ما يبرر عودتها الى لندن.

وصلت دافينا الى بلاس غوين، فأوقفت سيارتها في الباحة الأمامية وهي لا تزال حائرة، مترددة، فيما اذا كان عليها متابعة المغامرة حتى النهاية، او الكف عنها والرجوع الى لندن، قبل حلول الظلام. وبعد طول تفكير، قررت متابعة المهمة. ثم سارت في اتجاه الباب ودخلت منه لتجد نفسها في صالة واسعة، ذات جدران خشبية، وفي احدى زواياها مدفأة وضعت حولها الزهور والنباتات المنزلية الجميلة.

بقيت دافينا داخل الصالة تنتظر قدوم من يستقبلها أو يسألها عن أسباب وجودها في المكان. ولمّا طال انتظارها، رنت الجرس، واذا بصوت يخاطبها صاحبه من الخلف قائلا:

- نعم، اي خدمة!

واستدارت نحو مصدر الصوت لتجد نفسها واقفة أمام فتاة، في ريعان العمر، ممشوقة القامة وطويلة، رشيقة الجسم، سوداء الشعر، تدلت خصلاته الطويلة على كتفيها، مرتدية بزة خاصة لركوب الخيل، راحت تحدق فيها بنظرات، ان كان يصعب وصفها بالنظرات العدائية، فانه يصعب بالتالي وصفها بالنظرات الودية كتلك النظرات التي يتوقع الزائر عادة أن يراها منعكسة على وجه المضيف ساعة الاستقبال. إلا انه كان من السهل استشفاف ملامح العداء التي كانت تعكسها بوضوح نظرات هذه الفتاة كأنها كانت تشير عليها بمغادرة المكان قبل معرفة سبب وجودها. لكن دافينا استدركت هذا الأمر. وردت عليها قائلة:

- انني ابحث عن شخص يدعى لويد... بودي مقابلته لأمر هام.

- وهل لي أن اعرف من يريد مقابلته؟

ولاذت دافينا بالصمت وهي تفكر بأن تنصحها بعدم التدخل في شؤون غيرها. لكنها ظلت محافظة على هدوء اعصابها وصمتها لئلا تتورط في مشاكل هي بغنى عنها الآن، لا سيما وان هذه الفتاة لم تعرفها على نفسها بعد، وتخشى من أن تكون هذه ريانون، الفتاة التي حدثتها عنها موظفة الفندق. لذلك قررت مواجهتها ببرودة اعصاب، والكشف لها عن اسمها، ثم التفتت اليها وقالت بمنتهى اللياقة والهدوء:

- دافينا غرير تريد مقابلته.

سمعت الفتاة ذلك وتقدمت مسافة خطوة واحدة نحوها، ثم ردت قائلة بحدة وغضب:

- صحيح؟ أكاد لا أصدق ذلك، مع السلامة! بوسعك العودة من حيث اتيت... انت شخص غير مرغوب فيه هنا.

وفجأة سمع صوت ينادي: ريانون! ريانون! كأنه يعترض على ما قالته قبل لحظات، دفع دافينا الى التلفت حولها لمعرفة مصدره فتراءى لها شبح امرأة كانت واقفة بجانب السلم، وقد انعكست على وجهها ملامح الانزعاج. وما هي إلا لحظات حتى نزلت الى الطابق السفلي، وهرعت الى حيث كانت دافينا وريانون واقفتان، والتفتت الى دافينا وخاطبتها بلطف قائلة:

- آسفة على ما حصل. صحيح ان جميع الاماكن عندنا مشغولة ومحجوزة، إلا ان ذلك لا يبرر لأبنتي تصرفها السيء. أرجوك ان تقبلي اعتذاري و...

فقاطعتها ريانون وقالت:

- يبدو أنك اسأت الفهم، يا أماه. انها لم تطلب حجز غرفة لنفسها عندنا، وانما جاءت لمقابلة السيد لويد.. انها زوجته.

ابتسمت الوالدة ابتسامة مقرونة بالدهشة، ثم اقتربت من دافينا وعرفتها عن نفسها قائلة:

- انا عمة لويد.. عمته بيت.

ومدت دافينا يدها لتصافحها وهي ترد عليها قائلة:

- يؤسفني اذا كان وجودي سبباً للازعاج والمضايقة. غير انني مكلفة للقيام بمهمة رسمية.

- لا بأس! ليس عندي أي اعتراض على ذلك... ولكن الوضع، كما تلاحظين، صعب جداً.

حيال هذا الموقف المعقد، لم تجد امامها سوى ان تؤكد لعمة لويد بأنها جاءت، لا للاقامة والبقاء، وانما لمقابلة السيد لويد وتسليمه بعض الاوراق والوثائق التي شاء عمها ان يكلفها بنقلها اليه شخصيا. وظلت صامتة تفكر ثم تابعت قائلة:

- أجل، يكفيني مقابلته لدقائق. الموضوع لا يستغرق اكثر من بضع دقائق. هنا، تدخلت ريانون وقالت بحدة:

- كلا، لا يمكنك مقابلته. أولا لأنه ليس موجودا، وثانيا لأنه لن يعود قبل غد او بعد غد... وما دام هذا هو واقع الحال، فما عليك الا أن تعودي من حيث أتيت. مع السلامة!

ويبدو ان تصرفات الآنسة ريانون لم تعجب والدتها، فتدخلت لوضع حد لها وخاطبتها قائلة:

- من الافضل أن تذهبي الى غرفتك طالما أنك لا تحسنين التصرف بتهذيب ولياقة... وأنا ساعالج هذا الموضوع بنفسي.

- حاضر، لكنني ذاهبة الى الاسطبل.

قالت ريانون ذلك ثم خرجت بعد ان ألقت نظرة حاقدة على دافينا.

وهكذا أخذت السيدة باري، عمة لويد، تتعامل مع دافينا ببشاشة. مما أعاد الفرحة والبهجة الى قلبها، خاصة بعد أن دعتها الى الجلوس معها في الصالون، وطلبت منها مشاركتها في شرب الشاي، إلا ان دافينا شكرتها واعتذرت لها عن عدم تمكنها من تلبية دعوتها الآن، ثم سألتها:

- اخبريني، يا سيدتي، هل صحيح أن لويد ليس هنا كما سبق

وقالت ابنتك.

- نعم، صحيح، ولكنه سيعود طبعاً، متى؟ لا أستطيع التحديد، لانه يذهب ويرجع كيفما اتفق.

وفكرت دافينا بأن لويد لم يتغير قيد أنملة. ثم ابتسمت قائلة:

- ما كنت أتوقع ان تتعقد الامور الى هذا الحد... أرجو أن لا يتأخر والا اصيب عمي فيليب بخيبة أمل.

فأجابتها السيدة باري في محاولة للتخفيف من حدة المخاوف التي تصور لها بأنها لن تتمكن من لقاء لويد:

- مهما يكن، فانت في بيتك... انتظريه حتى يعود. اهلا وسهلا بك.

وظلت دافينا صامتة، بعد ان غمرتها عمة لويد بلطفها ووضعتها في موقف حساس ومحير للغاية، وكانت لا تتمنى ان تضع العمة في موقف حرج، ولا تدري بالتالي ما اذا كانت تستطيع أن تتحمل تصرفات ابنتها أو ان تتجاهل نظراتها العدائية السافرة نحوها، ثم التفتت اليها وقالت:

- شكراً، يا عمتي. كم أنت لطيفة! لكنني محتارة في أمري، ولا أريد مضايقتك ما دامت جميع الاماكن عندك مشغولة! اسمحي لي انا...

فقاطعتها السيدة باري قائلة:

- الامور تختلف ساعة يكون الضيف من أهل البيت ليصبح من واجبي تأمين مكان لك للنوم فيه، مهما كانت الظروف.

وهنا لم يعد بوسع دافينا ان تخفي الدهشة التي استولت عليها بفضل العاطفة التي عبرت عنها العمة باري نحوها، وخاصة عندما أضفت عليها صفة أهل البيت، وفكرت بأن اللياقة تقتضي معاملتها بالمثل، واحترام وتقدير الوصف الذي أضفته عليها، وشكرها على تأمين مكان لها تبيت الليلة فيه.

الغرفة التي عرضتها عليها، كانت واسعة، ومريحة، وتطل على أحد البساتين، بالاضافة الى نهر تنساب مياهه عبر الحقول والسهول، وبعض المرتفعات الجبلية الشامخة. وقد اعجبتها كثيراً.

كما اعجبها الاثاث الموجود فيها، وبصورة خاصة خزانة الثياب المصنوعة من خشب الماهوغاني، والكراسي، والطاولة الصغيرة، وغيرها من قطع الاثاث العريق. وقد استرعى انتباهها نظافة الغرفة، ورائحة العطر المنعشة التي تفوح منها.

حدثتها السيدة باري وهي تشير بيدها الى المناظر الطبيعية الجميلة التي يمكنها التمتع برؤيتها من نافذة غرفتها، حدثتها عن مشهد التنين الذي يظهر للعيان بوضوح كلما كان الجو صافياً.

ويبدو أن ذكر اسم التنين أثار الرعب والذعر في نفس دافنيا، فحدقت في السيدة باري ثم قالت لها:

ـ عفوك، يا سيدتي! ماذا قلت؟

ـ آه، قلت التنين... وها هو رابض هناك الآن... فوق قمة تلك التلة الجرداء. هل ترينه؟

قالت ذلك وهي تشير بيدها نحو التلة، في حين ارتبكت دافنيا واقتربت نحو السيدة باري بحركة خاطفة كمن يتولاه الذعر من شيء مخيف يحاول الهرب منه.

والحقيقة أن قمة تلك التلة العالية تعكس للناظر اليها من بعيد شكل تنين متحجر، لا يختلف ابداً عن شكل التنين الحقيقي، كما أنّ
تتوج قمة التلة بهذا الشكل. ويكفي القاء نظرة فاحصة عليها للتأكد من ذلك، اذ يستطيع الناظر أن يتصور بسهولة نفسه واقفاً امام تنين حقيقي ازاء هذه الاوصاف الخيالية، كان لا بد من ان يداهم دافنيا شعور بالرعب. وهذا ما أصابها بالفعل، اذ بدأت ترتجف وهي تتراجع الى الوراء وتقول:

ـ كل ما أتمناه هو ان يكون هذا التنين مسالماً وصديقا والا أصبح مصدرا للرعب والذعر.

وردت السيدة باري تقول كأنها تريد ان تطمئنها:

ـ أجل، لا تخافي لأنه، على حد علمي، لم يؤذِ أحداً حتى الآن. دعينا من قصة التنين الآن. انني ذاهبة لتحضير الشاي. هل

تشاركينني؟

ـ بكل سرور.

وهكذا خرجت السيدة باري لتحضير الشاي بعد أن اعتذرت لها عما تعرضت له على يد ابنتها ريانون من تصرفات غير لائقة، بدافع ولعها وتعلقها بالسيد لويد.

وغابت السيدة باري عن الانظار، تاركة دافنيا وحدها، غارقة في أحلامها وتأملاتها، وفي حيرة من أمرها. وباتت تنتظر عودة السيدة باري مع الشاي، تصغي بدهشة الى الاصداء المتنوعة التي كانت تنتقل عبر الاثير مرددة أصوات حفيف أوراق الشجر، وثغاء الغنم، وصهيل الخيل، وزقزقة العصافير، وخرير مياه النهر المنسابة من أمام الفندق نحو الحقول، وعواء الكلاب، مقرونة بوقع حوافر الخيل، مما يخيل للسامع بأن جميع المخلوقات قد تجمعت هنا... في هذا العالم الصغير العجيب.

غير أن كل هذه الاجواء والمناظر لم تستطع ان تثنيها عن التفكير بالسيد لويد، فراحت تفكر به، وتتصور أنه توارى عن الانظار بعد ان علم بقدومها، لتعود وتستبعد حدوث ذلك، وتلوم نفسها على اتهامه بسوء النية والتصرف قبل أن تتضح لها الامور على حقيقتها، وتخاطب نفسها بنفسها قائلة: ربما سمع بقدومي... كلا، لا اعتقد ذلك... أنى له ان يعرف... من يدري! يمكن ريانون اخبرته... يجوز... ولكن كيف يمكنها ذلك، ومتى؟ لا... لا... لا أظنها استطاعت القيام بهذه المهمة... عسى خير، ولكل شيء نهاية.

في هذه الاثناء، بدأت تسمع قعقعة أدوات زجاجية، وسرعان ما تبين لها بأن الشاي اصبح جاهزاً، وشعرت بمن فتح باب الغرفة، وتطلعت لترى الآنسة ريانون قادمة، حاملة بين يديها صينية عليها فناجين الشاي، ودعتها الى تناول الشاي ببرودة مقرونة بالعبوس، فحاولت دافنيا ترطيب الاجواء والمشاعر غير الودية التي تكنها ريانون

نحوها بكلمة مجاملة لطيفة، فلم تنجح. ولم تكن الصدمة التي شعرت بها بفعل جواب ريانون على ملاطفتها ومجاملتها، أخف وطأة على نفسها من الصدمات السابقة. اذ ان دافينا، عندما بادرت ريانون بالقول ساعة اطلت عليها من الباب:

- آه، يا ريانون، كم هي جميلة ومريحة هذه الغرفة! أرجو أن لا تكون متعتي وراحتي فيها على حساب ازعاج غيري من الناس. . .

لم تتوقع من ريانون أن تهز كتفيها استخفافاً وترد بوقاحة قائلة:

- لا بأس ولكنك ستتمتعين فيها على حساب لويد. . . انه الوحيد الذي سيتضرر من اقامتك فيها. . . ومن يدري، فقد يطردك منها ساعة يعود.

لم تشأ الرد عليها ولو بكلمة واحدة، وفكرت بأن أفضل جواب على الحماقة والوقاحة هو الصمت. صحيح انها اعتصمت بحبل الصمت، إلا ان محاولة ريانون اقحام اسم السيد لويد في الموضوع، جعلتها تتصور بأنها كانت تشغل غرفة زوجها الخاصة، ودفعتها الى النهوض بحثاً عن بعض الادلة كي تتأكد بنفسها ما اذا كانت الآنسة ريانون صادقة فيما اشارت اليه أم لا. وهكذا فتحت خزانة الثياب لتجد فيها مجموعة من ثيابه.

وغني عن القول ان هذا الاكتشاف كان كافيا لدافينا كي تتأكد من هوية شاغل الغرفة الاصيل، وتشير بالتالي بعض التساؤلات حول الفائدة التي ترجوها عمته من وضعها في هذه الغرفة بالذات، والتي تدرك، بدون أدنى شك، حقيقة المشاعر التي يمكن ان تراود الزوجة المتخاصمة مع زوجها، حتى تجد نفسها مرغمة على النوم في سريره، قبل المصالحة معه. وفكرت بأنه كان بوسعها من باب اللباقة واحترام شعورها أن تضعها في غرفة ابنتها، وتنقل ابنتها الى هذه الغرفة. وفي أسوأ الاحتمالات، كان بامكانها أن تضعها في غرفة أحد النزلاء، بعد ان تنقله اليها، بحجة القيام بتغييرات روتينية، ومع ذلك، آثرت عدم الذهاب بعيدا في البحث عن الاسباب التي جعلت العمة

باري تخصص لها غرفة زوجها، خشية ان يقودها ذلك، من حيث تدري أو لا تدري، الى نكران الجميل، خاصة بعد الجهود المضنية التي بذلتها في سبيل تدبير مكان لها، والتصدي لمواقف ابنتها ريانون المعارضة والمعادية لها منذ أن وصلت الى هذا الفندق.

وأهم ما كان يثير الدهشة في تصرفات دافينا هو انها كانت تدرك تماماً بأنها أسيرة مشاعر وأفكار متناقضة، بدون أن تحاول مرة واحدة الافلات من خيوط هذه الدوامة الرهيبة، ومواجهة الحقائق كما هي.

مثلا، كانت تغضب عندما يتأخر زوجها في اللجوء الى النوم، وتقلق عندما يحضر. وها هي الآن، بعد أن تأكدت بأن هذه الغرفة غرفته الخاصة، بدأت تشعر بالقلق من أن يصل فجأة ويدخل الغرفة، ليفاجأ بوجودها نائمة في سريره. وتنسى، او بالاحرى تتجاهل، حقيقة التناقضات التي تتخبط فيها، وليس أدل على ذلك من التقلبات التي طرأت على تفكيرها وهي في طريقها الى هذا المكان، اذ كانت تتمنى، في قرارة نفسها، ان يكون لويد اول انسان تراه حال وصولها، لتعود وتتمنى بأن لا يكون هناك كي تعود ادراجها من حيث اتت. شيء أغرب من الخيال.

وما هو اغرب من ذلك أنها، ما ان وصلت الى المنطقة، واهتدت الى المكان، واستقرت فيه، حتى راحت تتصور بأن لويد توارى عن الانظار بعد أن علم بقدومها، لتعود وتفكر بأنه براء من هذه التهمة اذ ليس هناك من يعرف خبر قيامها بالرحلة سوى عمها فيليب. ثم، عندما استقبلتها عمة زوجها وانزلتها في تلك الغرفة المريحة، راحت تتصور بأنها انما وضعتها في هذه الغرفة لغرض في نفس يعقوب، لتعود وتجد ما يبرر لها اقدامها على هذه الخطوة، وتفكر تارة بأنه لا يليق بها أن تنام في سرير زوجها بعد كل الذي جرى بينهما، لتعود وتجد لنفسها عذراً يبرر لها النوم في غرفة زوجها وفي سريره بالذات، بعد التطور العظيم الذي طرأ على مشاعرها نحوه.

وفيما كانت تحاسب نفسها، وتقيم ما لها وما عليها، خلال الفترة

الممتدة من ذلك اليوم الذي تقابلا فيه، وتواعدا على الزواج، حتى اليوم، راحت وجلست على حافة السرير، بعد ان استيقظت في خاطرها ذكريات اليوم الاول لزواجها. وتصورت، والمرارة تحز في نفسها، كيف تركها زوجها جالسة وحدها الى الطاولة، وراح يجول في انحاء المطعم، يجامل هذا، ويتحدث مع ذاك، بدون ان يخصها ولو بالتفاتة عابرة، أو بكلمة واحدة من طرف لسانه. وظل يتصرف على هذا النحو الى ان انتهت الحفلة، وحان الوقت للصعود الى جناحهما الخاص في الفندق.

لقد عاد اليها بعد ان انتهت الحفلة، لا ليرافقها الى الجناح العلوي الخاص في الفندق، وانما ليهمس في اذنها انه خارج لقضاء حاجة مهمة، واعداً اياها بانه لن يتأخر في العودة. وكان ان علمت فيما بعد بأنه خرج ليبحث عن مكان ما يمتع النفس فيه لبعض الوقت. وهنا تذكرت بحسرة كيف صعدت الى جناح الفندق وحدها. ولبثت تنتظر عودته وقد غمرها البؤس واليأس والحزن، حتى فقدت الامل، وداهمها النعاس فنامت قبل أن يكون قد عاد من جولته القصيرة في الخارج.

وغالباً ما كانت تصرفاته هذه تثير في نفسها شتى التساؤلات، التي كانت معظمها تصور لها بأن زوجها كان حقا غريب الاطوار، كما كانت تصفه والدتها. وتلوم نفسها على رفضها الاصغاء لنصيحة والدتها، التي حذرتها مراراً وتكرارا من مغبة الحب الخاطف، الذي لا يلبث ان ترتفع حرارته حتى تهبط ليخبو الحب ويزول.

لا شك في ان والدتها كانت تملك رؤيا واضحة بالنسبة الى العلاقات بين الناس. ومن خلال هذه الرؤيا كانت تتصور بأن للحب قاعدة لا تتعزز، ولا تتجلى وتصمد بوجه الهزات العاطفية والانفعالية، إلا من خلال تعزيز أواصر الصداقة والثقة والاحترام المتبادل، بصورة تدريجية. وما الحب الذي يربط بين قلبي ابنتها دافينا ولويد، في نظرها، إلا شذوذاً صارخاً عن هذه القاعدة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ان التناقضات ترفض ان تتركها وشأنها، أم انها هي التي ترفض الحياة في عالم خال وبعيد عن التناقضات؟ من العبث محاولة الاجابة على هذا السؤال ما دامت هي تبدو وكأنها كتلة عارمة من التناقضات. إلا أن هذا لا يعفي زوجها، أو والدتها، من مسؤولية ما يجري لها.

كان زوجها لا يزال في الخارج عندما استيقظت دافينا من نومها فجأة، وهي ترتعش من الذعر، الذي ارتفعت حدته بعد ما اكتشفت ان زوجها لم يعد من جولته بعد. وصارت تتجاذبها الافكار وشتى التخيلات. ثم رفعت رأسها عن الوسادة وجلست في السرير، تحدث نفسها: لعله لا يحبني... بلى، يحبني... لكنه لم يعترف لي مرة بحبه... ان لم يحبني فلماذا تزوجني... اذا كان الامر كذلك، لماذا يتصرف تصرفا يوحي لي بأنه لا يحبني... من يدري؟ ربما لا يحبني... سوف أحسم هذا الموضوع معه عندما يعود... سوف افهمه بان ارواء مشاعره العاطفية، لا تكفي لاثبات محبته لي... سوف أضع النقاط على الحروف وأقول له بكل صراحة ان المعاشرة الزوجية لا تصلح ان تكون قاعدة لارساء علاقات شخصية وطيدة وحميمة تدوم مدى الحياة ... وعندئذ، سيكون لكل حادث حديث... سوف أضع حداً للمآسي وخيبات الامل... كفاني ما ذرفته من دموع، وما اجهشته من بكاء كلما كان يتركني وحدي ويذهب ليعود بعد منتصف الليل... ويتحفني بنظراته الماكرة، الخادعة... وانتقاداته اللاذعة، وتعليقاته الساخرة، ومجاملاته الثقيلة الظل... كأنني العوبة بين يديه، يلهو بها ساعة يشاء، ويعبث بها ساعة يشاء، بدون خجل ولا وجل. وسوف أسأله عن الجنة التي وعدني بها، وعن وعوده الفارغة التي ظلت مجرد كلمات تتردد اصداؤها في الهواء... وأين اصبحت؟

كان بودها أن تطوي صفحة الماضي وتبدأ الحياة من جديد، من نقطة الصفر، في حال سارت الامور على خير ما يرام. وكانت

مستعدة لنسيان كل ما له علاقة بالماضي، وبدء صفحة جديدة، ومسيرة جديدة، على أسس واضحة من الحب والاحترام المتبادلين.

كانت مستعدة للتضحية بكل شيء في سبيل بناء حياة جديدة، وطي صفحة الماضي البغيض، لولا بعض الذكريات القاسية التي ما زالت آثارها المفجعة توجع قلبها، والتي كانت لا تزال تخشى من زوجها ان يعود الى ممارستها، ويؤدي ذلك بالتالي الى هدم أعمدة البيت من جديد، وتكون النهاية.

هناك بعض الامور والتصرفات التي يجوز التهاون بشأنها، وعدم الاكتراث بها، والتي لاتؤثر، لا من قريب ولا من بعيد، على مسار الحياة الزوجية، مثل عدم التقيد بالمواعيد، أو التأخر في العودة الى المنزل، أو الخلاف حول المكان الذي يجب الالتقاء فيه لتناول الغداء أو العشاء، ما دامت كلها امور قابلة للحل مع مرور الزمن. ودافينا كانت مستعدة لنسيان جميع هفواته وتصرفاته المتعلقة بأمور كهذه، وعدم محاسبته عليها، أو معاتبته بشأنها. غير أنه لم يكن بوسعها نسيان تلك التصرفات التي تطال كرامتها، وتترك آثارها السيئة في نفسيتها. . . تصرفات كانت توحي لها بأنها لم تكن في نظره سوى دمية بين يديه، يلهو بها ساعة يشاء. . . كانت ترى دربها طويلة، وعرة المسالك، مليئة بالشوك، وسط هالة من الوعود البراقة، والمجاملات الخادعة، وترى نفسها ضحية الغرور والكبرياء والعجرفة والانانية المتبادلة بين والدتها وزوجها فضلا عن الثمن الباهظ الذي دفعته من راحتها، والدموع الغزيرة التي سكبتها، والقلق الذي يلازمها كظلها، كأن قدرها أن تعيش في واحة من البكاء والدموع.

وفي زحمة كل هذه التأملات، والتناقضات، والانفعالات، حاولت ان تنام، علّ النوم يحررها ويريحها، فلم تستطع. . . وظلت تغفو حينا، وتصحو حينا آخر، وطيف زوجها يداعب خيالها لغاية ان سيطر عليها النعاس فاغمضت عينيها ونامت ملء جفونها.

٣ - لقاء في الظلام

استيقظت دافينا في صباح اليوم التالي بعد ليلة حافلة بشتى الذكريات والاحلام، الموجعة والمفرحة في آن معاً. لكنها بدت هادئة الاعصاب، كمن تنتابه الحمى وترتفع حرارته فجأة، وتظل ترتفع وترتفع . . . وهو يهذي ويتلوى ويصرخ، وينتفض، ويرتعش، لغاية ان تشل النوبة قواه العقلية والجسدية وتجعله عاجزاً عن الحركة لتبدأ عملية الارتخاء، فيغيب عن الوعي ويستسلم لسلطان النوم بعد هزيمته في المعركة، ليعود ويستيقظ بعد ساعات من النوم الهانيء وهو يشعر بقيامة جديدة اثر غيبوبة مؤقتة لا تختلف عوارضها عن بداية النهاية. . . فيشعر بالانتصار وتراوده آمال واحلام جديدة ببزوغ فجر جديد لحياته المتجددة. . .

اجل، لقد استيقظت من النوم وهي تفكر، على غير عادتها، بان انسياقها وراء ذكرياتها الماضية ستكون له عواقب وخيمة على مجمل حياتها ومستقبلها، وما عليها الا ان تطوي صفحة الماضي، اذ يستحيل اعادة عقارب الساعة الى الوراء. الا ان قرارها هذا لم يصمد طويلاً، شأنه شأن جميع قراراتها السابقة، وذلك لأنها نابعة من العاطفة.

وهكذا لم يكتب لقرارها بضرورة نسيان الماضي ان يعيش سوى بضع دقائق، ما لبث بعدها ان تصورت بأن كل ما يدور حولها ينذرها بضرورة مغادرة هذا المكان بأقصى سرعة ممكنة، وبأن

الظروف الآنية ليست مناسبة لاثارة ما سيؤول الى مواجهة حامية الوطيس بينها وبين لويد. ولا يضيرها ان هي اودعت الأوراق التي حملها اياها عمها فيليب لتسليمها الى السيد لويد، لدى اي شخص من اهالي المنطقة، وتكلفه بايصالها اليه، ويبقى على المحامي متابعة قضيتها بالطرق القانونية، واجراء المفاوضات والاتصالات الضرورية بشأنها مع زوجها. ذلك كان الحل الذي فكرت باعتماده، وفكرت على اثره بالرحيل.

وما ان انتهت من وضع اللمسات الأخيرة على هذا القرار المفاجىء حتى ذهبت وغسلت وجهها، ثم ارتدت ثيابها وخرجت من الغرفة في طريقها الى الخارج، عبر المطبخ، الذي كانت تنبعث منه رائحة تثير الشهية، وتسيل اللعاب.

كانت عمة لويد عائدة الى الدار حاملة سلة مملوءة بالخضار الطازجة، عندما اصبحت دافنيا في الخارج، فبادرتها بالتحية وهي تبتسم لها وتقول رداً على اندفاع دافنيا نحوها ملوحة بيدها بقصد المساعدة:

- اهنئك على هذا النشاط، يا عزيزتي! الطعام سيكون جاهزاً بعد ساعة من الآن تقريباً.

هزت دافنيا رأسها وهي ترد قائلة:

- ما جئت لكي استفسر عن الطعام. ثم اشارت باصبعها الى السلة وتابعت تقول:

- قصدت مساعدتك في حمل السلة.

- شكراً لك... اظنك بحاجة الى مزيد من الراحة. عودي واجلسي في الصالون حيث تجدين ادوات كثيرة للتسلية بالاضافة الى جهاز الراديو ومجموعة كبيرة من الكتب. آسفة لعدم وجود تلفزيون عندنا... ان ضعف شبكة الارسال والاستلام لا يشجعنا على شراء تلفزيون.

لكن دافنيا تجاهلت ذلك واخذت تلح عليها كي تدعها تقوم

بحمل السلة عنها، وهي تبتسم وتقول:

- دعيني اساعدك طالما انك تعتبرينني كفرد من افراد العائلة، اليس كذلك؟

- اجل، لم اصدك عن مساعدتي في البداية الا بدافع الحرص على ملابسك. خذيها وساعديني، اذا شئت، بتقطيع اللوبياء وتحضيرها للطبخ. كانت ريانون تساعدني في تحضير هذه الاشياء، ولكنها ذهبت اليوم الى المزرعة لتشتري لنا بعض البيض.

وهكذا اندفعت دافنيا حاملة السلة الى المطبخ، حيث اخذت تستعد للبدء بالعمل وهي مسرورة جداً من هذه المبادرة المشجعة.

جلست دافنيا قبالة عمة لويد، تقطع اللوبياء الخضراء، بينما كانت العمة تقوم بتحضير الجزر وتقطيعه. وكانت فرصة مناسبة انتهزتها دافنيا لتتحدث مع السيدة باري، فبادرتها بالسؤال عن مصدر الرائحة الزكية التي كانت تملأ الجو. فردت عليها وهي تبتسم:

- رائحة خروف محمر... كلنا هنا لا نحب المأكولات الدسمة... طعامنا كله بسيط ولكنه لذيذ الطعم. حتى ان رواد الفندق باتوا يفضلونه على اي طعام سواه بعد ان تذوقوه.

- لماذا يأتي الناس الى هنا؟ هل يأتون فقط لممارسة هواية ركوب الخيل وترويضها؟

- كلا. البعض يأتي للتنزه في اجواء الحقول والبساتين. والبعض يأتي لتمضية عطلة نهاية الاسبوع، والبعض يأتي لممارسة هواية ركوب الخيل. هناك عائلة ذاهبة اليوم لتمضية النهار على ضفاف النهر، وعائلة اخرى ذاهبة لتمضية النهار على سفح الجبل ومشاهدة الشلالات... والسباحة في البركة الموجودة هناك.

وصمتت لحظة ثم تابعت حديثها تقول:

- على فكرة، لا يمكنك تصور كم السباحة ممتعة، والمناظر خلابة هناك. عندما يعود لويد، اذهبا معاً الى هناك وتمتعا بالمناظر الطبيعية

السـاحرة.

ارتعشت دافنيا وانتفضت لدى سماع اسم لويد، وخطر ببالها انتهاز هذه الفرصة كي تخبرها بانها لم تعد راغبة في انتظار لويد حتى يعود، بدون ان تتورط في الدخول معها بأية تفاصيل اخرى، لكنها لم تفعل.

وبعد صمت قصير، تابعت السيدة باري حديثها، بدون ان تتوقف عن تحضير الخضار. فحدثتها عن بعض الأماكن الواقعة في الجوار، وعن بعض الأماكن الاخرى في المنطقة، التي يقصدها الناس للتمتع بمشاهدتها، والتعرف على معالمها، خلال ايام العطل والأعياد. وكانت تحرص، طيلة حديثها مع دافنيا، على اختيار الكلمات الناعمة، مقرونة بابتسامة، بين الحين والآخر، كأنها شاءت ان توليها عناية خاصة نظراً للظروف الحياتية العصيبة التي كانت تعيشها، علها بذلك تخفف عنها وطأة الشعور بالوحدة والغربة. ولم تكن دافنيا، بدورها، بعيدة عن ادراك حقيقة ما ذهبت اليه العمة باري، من مجاملة وملاطفة، وراحت تبادلها بالمثل.

هذا وتطرقت السيدة باري الى امور كثيرة ومتنوعة من خلال حديثها. فروت لها عن امور كثيرة تتعلق بظروفها العائلية والمعيشية. كما حكت لها عن الأعمال التي قام بها لويد في السنتين الماضيتين، وعن المصاعب الاقتصادية التي واجهتها المنطقة، والتي بسببها اضطر زوجها لبيع هذا المكان الى السيد لويد. ولاحظت دافنيا مدى الحسرة واللوعة التي انعكست على وجه العمة المسكينة وهي تحدثها عن وفاة زوجها على اثر النوبة القلبية التي اصابته بعد اسبوع من بيع المسكن، الذي ابقاها فيه السيد لويد، هي وابنتها رياتون، كي تقوم بادارته، ريثما يضع له تخطيطاً لتطويره وجعله مركزاً سياحياً يقصده الزوار من كل حدب وصوب.

وطال الحديث، وتشعب كثيراً، بحيث اصبح يدور في معظمه على مواضيع خارجة عن نطاق المجاملة المتبادلة، او الطقس، او

مناظر المنطقة الطبيعية، والتي كادت تكون مقتصرة على لويد، والحياة التي يعيشها، والأعمال التي يحاول تنفيذها، وغيرها. ومما قالته:

ـ بعد غيابه الطويل عن المنطقة وجولاته المتكررة في الخارج، لم اصدق قوله بانه ينوي الاستقرار هنا... حسبته كان يمازحني، لكن سرعان ما تبين لي العكس تماماً، بدليل انه راح يكثف نشاطاته، ويبذل الجهود في سبيل تجديد معمل الصوف تمهيداً لاعادة تشغيله، فاستقدم لهذه الغاية عدداً من الخبراء لدراسة المشروع واقتراح نوع المعدات اللازمة لتشغيل المعمل، وغير ذلك من الأمور... كما اشرف على تنفيذ العديد من الأشغال بمساعدة عمال محليين... المهم انه لم يضجر كما توقعت له...

وقاطعتها دافنيا لتسألها بدهشة:

ـ أصحيح انه يحاول تجديد المعمل واعادة تشغيله؟ وهل سيكفيه انتاجه من القماش؟

ـ ولم لا؟ انتاج المعمل ليس هدفه الاساسي، وانما السياحة وتنشيطها. يهمه بالدرجة الأولى اجتذاب السياح لزيارة المنطقة والمعمل، حيث يشاهدون انوال الحياكة وهي تعمل، في حياكة البسط والسجاد بألوانها واحجامها وقياساتها المختلفة، ويبادرون الى شراء بعضها وحمله معهم الى مدنهم وبيوتهم... واهم من ذلك ان افكاره اخذت تشجع الأهالي وتدفعهم الى احياء الحرف القديمة، وفي مقدمتهم السيدة دافيس اذ بدأت هي الاخرى تستعد لاعادة تأهيل انوالها تمهيداً لتشغيلها وبدء الانتاج. كما علمت بانها تعد الخطط اللازمة لاقامة المعارض لعرض منتجاتها... وهناك مشاريع كثيرة قيد الدراسة ارجو ان يكتب لها النجاح فتزدهر المنطقة وتنشط الحركة التجارية والسياحية وتتوقف حركة الهجرة، وتزول البطالة.

كانت دافنيا تصغي الى السيدة باري تحدثها عن كل تلك الامور، وهي صامتة. ولا يعني ذلك بأنها لا تبالي بما كان لويد يخطط من أجل

المستقبل. بل انها كثيرا ما كانت تعبر عن دهشتها مما كانت تقصه عليها عمة لويد، من خلال بعض الاشارات والتلميحات وخاصة عندما راحت العمة تتحدث عن المشاريع التي ينوي زوجها تنفيذها في الريف، وهي مشاريع تفرض عليه البقاء والاقامة هنا.

وهكذا ظلت دافنيا صامتة، وقد استولت عليها الحيرة والدهشة مما سمعته وهي تتمنى في قرارة نفسها ألا تكون تلك الاخبار صحيحة. اذ لا يعقل أن يكون لويد يفكر بالاستقرار في هذه المنطقة الريفية، والتخلي عن عالمه، عالم الكتابة والادب، عالم الشهرة والثروة، بهذه البساطة، اللهم إلا اذا كان الدافع الى ذلك يفوق طاقته. فما هي الاسباب الكامنة وراء اقدام السيد لويد على هذا التحويل الخطير في حياته؟ هل كانت هي السبب؟ ربما، ولكنها استبعدت ان تكون هي السبب الرئيسي والوحيد الذي يدفعه الى الاتجاه في ذلك المنحى الخطير على مستقبله الادبي. وانتهت الى التفكير بأن ما ينوي القيام به لا يعدو كونه مغامرة ستكلفه ولا شك ثمناً باهظا، عاجلا ام آجلا.

وكانت السيدة باري تتأملها وهي غارقة في تفكيرها، وتتمنى لو تعلق على حديثها، ولو بكلمة واحدة، علها تكون كافية للافصاح عما كان يدور في خلدها بالنسبة الى موقفها من مشاريع السيد لويد، أو ما قد يطمأنها الى مستقبلها في هذا المكان بعد مجيء دافنيا، باعتبارها زوجته؟ وتساءلت بنفسها: هل يبقيني في منصبي كمشرفة على شؤون المنزل، أم ان زوجته ستتولى هذا المنصب بنفسها؟ من يدري! كل شيء جائز. والحقيقة ان دافنيا استشفت بحدسها ما كان يدور في ذهن السيدة باري من مخاوف حول مستقبلها، وكادت ان تطمئنها الى المستقبل، لكنها عدلت عن ذلك مخافة ان تسألها عن حقيقة الاسباب التي دفعتها للمجيء الى هنا ما دامت لا تفكر بالبقاء.

وهكذا فكرت باثارة مواضيع اخرى لتغيير مجرى الحديث،

فسألتها عن الخيل، وبرامج التدريب على ركوبها، وعدد الخيول المتوفرة لهذه الغاية، وعن المشاكل التي يواجهونها في هذا المجال.

تنهدت السيدة باري وهي تروي لها حكاية الخيل، من بدايتها الى نهايتها. وجاءت في حديثها على ذكر عائلة مورغان بصفتها احدى العائلات التي تملك عددا وافراً من الخيول الصالحة لممارسة العاب الفروسية. وتابعت القصة وهي تشعر بالمرارة تحز في نفسها عندما تطرقت الى عدد الخيول التي كانت تملكها ابنتها ريانون، والتي أرغمت على بيعها اثناء الضائقة الاقتصادية التي سادت المنطقة. ولم تلبث حتى عادت تشعر بالارتياح عندما راحت تحدثها عن عملية الانقاذ التي قام بها السيد لويد، فور عودته الى المنطقة، اذ ذهب واشترى تلك الخيول من الذين سبق واشتروها، وردها الى ريانون، فاعاد بذلك البسمة الى ثغرها، والفرحة الى قلبها. وكان هذا الخبر كافيا لاثارة الشكوك في نفس دافنيا حول طبيعة العلاقات القائمة بين لويد وريانون، اذ يأتي الحب في مقدمة الدوافع التي يمكن ان تدفع المرء الى الاقدام على عمل من هذا النوع، يجوز وصفه بالمغامرة، خاصة ان ريانون تمتاز بشخصية قوية، وجمال رائع، بالاضافة الى كونها لا تزال في ريعان الصبا، وهذه كلها من المزايا التي تثير الاعجاب في نفس لويد، الذي لا يتورع عن التضحية بشيء في سبيل ارواء نزواته.

إلا انها تمنت ان يكون حدسها صحيحاً، اذ ان ذلك سيجعل موافقة لويد على طلاقها سريعة، وعسى ان يكون زواجه من ريانون أوفر حظا، وان تكون الزوجة الطائعة ويكون هو الزوج السيد المطاع.

هل كانت دافنيا محقة في ما ذهبت اليه من شكوك حول طبيعة العلاقة القائمة بين لويد وريانون؟ أغلب الظن لا، لم تكن محقة في ظنونها، بدليل ان ملامح السيدة باري لم تتغير كما يحدث للملامح من يخفي اخباراً او اسراراً حول علاقات مشبوهة كالتي تصورتها دافنيا

قائمة بين لويد وابنتها، لا سيما وانها معنية مباشرة بمستقبل ابنتها وبتصرفاتها. وهل يعقل ان تبدو ملامح اي انسان، كالملامح التي انعكست على وجه السيدة باري ومحياها، من صفاء، وبراءة، وطهارة. غادرت دافينا المطبخ، بعد ان ودعت العمة باري وشكرتها على شعورها وعاطفتها، وتوجهت الى الصالون حيث بدأ نزلاء الفندق الذين غادروه في الصباح للتنزه والتفرج على بعض الاماكن الطبيعية يعودون تباعاً، ويحيون دافينا ببشاشة وحرارة، ويتمنون لها طيب الاقامة في هذا المكان. وعرفتهم هي بدورها على نفسها بعد ان شكرتهم على حسن استقبالهم لها وأخبرتهم بأنها جاءت هنا لتمضية عطلتها الصيفية. وهنا أخذوا يتسارعون في اطلاعها على الخرائط السياحية التي كانت بايديهم، منها خريطة المكان السياحي المعروف باسم عرين التنين، ويشجعونها ويحمسونها على زيارة تلك الاماكن الطبيعية الفاتنة.

حتى ان الصغار اشتركوا في الحديث وراحوا يقصون عليها اخبار مغامراتهم، ويعرضون امامها الحيات الصغيرة التي امسكوها ووضعوها في علب صغيرة. وقفت دافينا بين هؤلاء الصغار تصغي بدهشة الى احاديثهم، حيث راح كل واحد منهم يروي حكاية مغامرته بين احضان الطبيعة، هذا يروي قصة مطاردته للحيات الصغيرة حتى تمكن من الامساك بواحدة منها، وربما اكثر، والثاني يتحدث عن الركض وراء الفراشات بغية الامساك بها لضمها الى مجموعته. والثالث يحكي والغصة في حلقه عن فشله في انتشال اية سمكة جميلة الالوان من مياه النهر رغم كل الجهود التي بذلها. كل ذلك ودافينا واقفة تصغي اليهم وتبتسم لهم، وتسألهم وتستمع لأجوبتهم، وهي تكاد لا تصدق نظراً لما تتطلبه المغامرات التي قاموا بها من شجاعة، وحكمة، وقوة ارادة، وصبر، ومثابرة، خاصة اذا تخلل مثل هذه المغامرات مطاردة الحيات، والركض مسافات طويلة وراء الفراشات والعصافير والارانب البرية.

وكم كانت دهشتها عندما رد احدهم على سؤالها عن الحيات قائلا:

ـ كلا... انا لا أخاف منها... ولماذا أخاف! مررت بمئات منها قبل الآن ولم أخف. بالعكس، كانت هي تهرب مني وأنا اركض وراءها حتى تدخل في جحر أو في فجوة ترابية... فاتركها وأعود للبحث عن غيرها... لعبة رياضية مفيدة... أحبها انا كثيرا...

ثم صمت برهة كأنه يفكر بأشياء اخرى يريد ان يحكي لها عنها بعد أن لاحظ اهتمامها بحكاياته البريئة، وتابع يقول:

ـ هل تعرفين ان الحيات لا تؤذي... هذا صحيح، اكتشفته بنفسي من خلال مغامراتي في البراري... حيات كثيرة طاردتها بدون ان تحاول احداها مرة ان تؤذيني او تهاجمني... ربما لأن حيات المنطقة مسالمة بطبيعتها، كما اخبرني السيد لويد... الحق معه... الحيات هنا مسالمة جدا.

ارتعشت دافينا وتنهدت من الدهشة لدى سماعها اسم لويد يردده هؤلاء الاولاد برغم حداثة عودته الى المنطقة، وتساءلت كم بالحري سيردد ذكر اسمه من الناس بعد ان تطول اقامته هنا وأين عساه يكون طالما ان هؤلاء الاولاد يعرفونه، ويذكرون اسمه، ويتحدثون عن اشياء قالها لهم قبل يوم او يومين، على ابعد تقدير! ثم التفت الى هذا الفتى، وقالت له:

ـ ماذا بعد، حدثني عن بقية مغامراتك ومشاهداتك، الا تريد! انني احب سماع القصة من اولها الى آخرها، تفضل.

وابتسم لها تيم ورد عليها قائلا:

ـ بلى حسنا، سأحكي لك عن كل شيء عملته وشاهدته هناك. بعد ما شبعت من مطاردة الحيات والفراشات، جمعنا بعضنا ورحنا نمشي ونمشي حتى وصلنا الى الشلال... وهناك حاولت ان اتابع المشي حتى أصل الى مغارة التنين وقلت لأختي جيني أن ترافقني، ولكنها رفضت، هكذا تفعل دائما... دائما تعارضني... لست

ادري لماذا تقف ضدي دائماً وتعكر علي صفاء الرحلات ومتعتها. . . يالها من اخت شقية، عنيدة.

وقاطعته دافينا لتسأله بدهشة:

ـ قلت التنين! هل انت متأكد من وجود تنين في الغابة؟ من قال لك ذلك؟

ـ نعم. . . يوجد تنين هناك. . . هذا ما قاله لي السيد لويد. قال لي ان بامكاني أن اسمع هديره بوضوح من بعيد اثناء هبوب الريح بقوة. انا شخصياً لم أره، ولم اسمعه. السيد لويد أكد لي ذلك، ولكن السيد مورغان نفى وجود أي تنين هناك وسخر مني عندما سألته عنه وعن هديره واخبرني بأن الهدير المزعوم ليس إلا صفير الريح عندما تهب بقوة وتمر في طريقها عبر بعض الشقوق الصخرية الضيقة هناك فتحدث صوتا يشبه صوت الهدير. . . صدقيني بأنني لا اعرف من هو الصادق من الاثنين.

ويبدو ان تيم أفرغ كل ما في جعبته من قصص وحكايات فأخذ يهمهم ويدندن وهو يتحسس بطنه بيده ويقول بعد ان التفت صوب والدته:

ـ جائع. . . أكاد أموت من الجوع. . . متى سنأكل؟ ألم يحن وقت الطعام؟

ـ كفى، كفى تذمراً وتأففاً! انك لم تهضم بعد الاكل الذي أكلته في الخارج. هل نسيت كم أكلت! انا لا أصدق انك جعت الآن بعدما اكلت ضعف ما أكله اي واحد منا. . . اصبر ونأكل بعد قليل.

ـ حسناً يا أماه. . .

عندها، التفتت والدة تيم الى دافينا وخاطبتها وهي تبتسم قائلة:

ـ لا تصدقي كل هذه القصص الصبيانية المبالغ فيها ولا تدعيها تؤثر على اعصابك وتصدك بالتالي عن القيام برحلة الى موقع الشلالات. . . صدقيني انها رائعة. . . اذهبي وتمتعي بمشهدها

الجميل واسبحي في بركة المياه هناك. . . السباحة فيها تنعش الجسم وتريح الاعصاب. . . انا سبحت فيها اليوم وبت اشعر بالراحة والانتعاش والقدرة على الخروج غداً لممارسة هواية ركوب الخيل اكثر مما كنت اشعر في أي وقت مضى. . . لا تفوتي عليك هذه الفرصة.

في هذه اللحظة بالذات ظهرت ريانون فجأة، لتعلن بصوتها الجهوري ان الطعام جاهز، ودعت الحاضرين للانتقال الى غرفة الطعام، ثم تنحت جانبا كي تفتح الطريق امامهم للمرور، وهي تخاطب دافينا التي ظلت جالسة في مكانها، قائلة:

ـ انت مدعوة لتناول الطعام معنا في المطبخ لان غرفة الطعام صغيرة ولا تكفي لاستيعاب الجميع. هكذا قالت والدتي، وهي تنتظر معرفة رأيك.

ابتسمت دافينا وهي ترد عليها بقولها:

ـ حاضر. . . سمعاً وطاعة! انا مستعدة لتنفيذ كل الاوامر، وخاصة طلب الوالدة الكريمة.

قالت ذلك وهبت واقفة بنشاط ورشاقة كأنه كان على المسكينة ان تراعي خاطر الآنسة ريانون كيلا تغضب حتى بحركاتها وسكناتها. وتبعت ريانون في المشى، ثم وقفت، فيما دخلت ريانون الى المطبخ حيث كانت والدتها تحضر الطعام لتنقله الى نزلاء الفندق. وما هي الا لحظات حتى خرجت السيدة باري حاملة بين يديها طنجرة الشوربا، وتبعتها الآنسة ريانون حاملة بين يديها صينية كبيرة عليها بعض الوان الطعام، فابتسمت دافينا لهما واندفعت نحوهما تعرض المساعدة. غير أن الآنسة ريانون اشارت برأسها بالنفي وهي تقول لها:

ـ لا، شكراً!. . . نحن لسنا بحاجة لمساعدة أحد. . .

ولاذت دافينا بالصمت وهي تفكر بأن هذا هو جزاء كل من يتدخل في ما لا يعنيه. . . اذ يسمع ما لا يرضيه.

كانت الرائحة المنبعثة من المطبخ تؤكد بما لا يقبل الشك بأن وجبة اليوم شهية. وقد تأكدت من ذلك بنفسها عندما جلست الى المائدة

مع العمة باري والآنسة ريانون. ولكنها لسوء الحظ لم تأكل من الطعام ما يسد جوعها، اذ أخذ ميزان شهيتها يرتفع وينخفض بالنسبة الى نظرات الآنسة ريانون الجالسة امامها، تلك النظرات التي كانت في معظمها متجهمة وعابسة.

اخيرا انتقل الجميع الى الصالون حيث قدمت لهم الحلوى والقهوة. وبعد لحظات وصل شاب، وسيم الطلعة، طويل القامة، وصار يتأمل الحاضرين، فردا فردا حتى اذا وصل الدور الى دافينا تأملها طويلا، ثم ابتسم لها وخاطبها قائلا:

ـ ضيفة جديدة؟ اهلا وسهلا! متى وصلت؟

ولكن الآنسة ريانون لم تترك لها الفرصة للرد عليه، اذ سبقتها وقالت:

ـ وصلت اليوم. لكنها ليست زائرة، بل هي زوجة لويد.

قالت ريانون ذلك بعصبية ظاهرة، ثم رمت صينية القهوة على الطاولة بصورة عشوائية، اثارت ردوداً غير مستحسنة من جانب الحضور.

إلا ان هذا التصرف السلبي من قبل الآنسة ريانون، لم يمنع الشاب من متابعة حديثه مع دافينا قائلا:

ـ يشرفني ان اكرر ترحيبي بك بصفتك زوجة السيد لويد... مرة ثانية، أهلا وسهلا، لي الشرف بمعرفتك.

ثم اقترب منها ويده ممدودة لمصافحتها، وهو يقول لها:

ـ أنا هيو مورغان.

ـ تشرفت! اهلا وسهلا، انا دافينا غرير.

ـ اسم فني! ورفع حاجبيه من الدهشة وتابع يقول متسائلا: ممثلة؟ هل انت ممثلة ام عارضة ازياء؟

وهزت دافينا رأسها بالنفي وهي تضحك وتقول:

ـ لا هذه ولا تلك. يبدو انك تحاول مجاملتي بوصفك اياي ممثلة او عارضة ازياء! وكم يبدو هذا الوصف مغريا.

ـ معاذ الله ان يكون ذلك قصدي. ولكنني فعلت ذلك لاسباب محض شخصية... سمها من وحي المظاهر، اذا شئت. انا آسف اذا كنت اخطأت التقدير.

ـ لا بأس... وليس في ذلك اي ضرر، انا اشتغل مع عمي في دار نشر يملكها.

فتأملها مورغان طويلا، قبل ان يعلق على جوابها، ثم رد عليها وهو ينظر بخبث الى الآنسة ريانون، قائلا:

ـ حسبك انك جمعت بين الفكر والجمال... هذا يوحي لي بأن الحظ اعطى السيد لويد بدون حساب.

هنا تدخلت الآنسة ريانون اذ ردت عليه قائلة بتهكم وسخرية:

ـ كفاك سخافات وتفاهات يا هيو! هل تريد فنجان قهوة؟

ـ طبعا... طبعا! ماذا تنتظرين؟ هل تظنين بأنني جئت لكي اراك؟

قال ذلك وراح يلاحق ريانون بنظراته حتى توارت عن الانظار.

وبعد لحظات عادت الآنسة ريانون حاملة صينية القهوة، فوضعت الفنجان امامه على الطاولة الصغيرة وهي ترتعش من الانفعال، الامر الذي دفع مورغان الى التعليق على تصرفها هذا بلهجة لاذعة.

ـ صدقيني بأنني لن أعود ثانية... لن أعود الى هذا المكان اطلاقا. ما هذه الخدمة؟ خدمة بعيدة كل البعد عن اللباقة والاحترام لم أعهدها من قبل.

ثم بدأ يرشف القهوة ببرودة اعصاب، بدون ان يظهر عليه أي أثر للانفعال او العصبية من جراء تصرف الآنسة ريانون على ذلك النحو غير اللائق. بل، على العكس من ذلك ظل محتفظا بهدوئه، والتفت الى دافينا، وتأملها قليلا، ثم قال لها مبتسماً:

ـ انصحك بألا تبالي بتصرفاتها... ولا بأقوالها... انها أشبه بالكلاب التي تملأ الجو بنباحها ونادراً ما تعض... يدهشني كثيرا

انها تصرفت معي اليوم على غير عادتها. . . وفي رأيي لا نار بلا دخان ولا شك أن شيئا ما قد حدث وافقدها توازنها، والا. . .

قاطعته دافينا وقالت:

ـ معك حق! يجوز ان يكون مجيئي الى هنا هو الحدث. . . ولا استبعد بأنه ضايقها. . . كما يتضح ذلك من خلال تصرفاتها. . .

ـ أجل، من الجائز ان قدومك ضايقها. . . واذا عرف المرء السبب زال عجبه. ولا تنسي ايضا ان السيد لويد وسيم ولبق للغاية، وقد ضحى بالكثير من أجلهما. . . هي ووالدتها. . . يكفيه فخرا انه انقذهما من براثن الحاجة والعوز ورد لهما الخيول التي باعتاها اثناء الضائقة الاقتصادية التي مرت بالمنطقة. . . انا شخصيا، لا ألومها أبدا لا على تصرفاتها اليوم ولا على غيرتها على لويد. . . فلها عذرها ولها ما يبررها. . . أليس كذلك؟

كانت دافينا تصغي اليه بكل انتباه وحذر. ودهشت من صراحته المتناهية. . . وكم راودها الحذر من مغبة أن تصل كلماته الى مسامع ريانون التي كانت في المطبخ المجاور لمكان وجودهما، تساعد امها في جلي الصحون والاواني المنزلية الاخرى. لكن حذرها زال بعد تيقنها بانشغالها في المطبخ فضلا عن قعقعة الصحون المسموعة بوضوح، التي كانت كافية ولا ريب لطمس أية أصوات اخرى تصدر في الخارج.

ثم رفعت رأسها وسألته مستوضحة:

ـ هل تظن بأن الدافع الى كل تصرفاتها نحوك أو نحوي لا فرق، مصدره غيرتها على السيد لويد؟

رفع مورغان فنجان القهوة وأخذ منه رشفة، ثم وضعه على الطاولة، وهو يفكر قليلا، ثم تأملها ورد قائلا:

ـ أعتقد. هذا رأيي الشخصي. اما اذا كانت تتصرف هكذا لغرض في نفسها او لأسباب اخرى مستجلة، فأنى لي ان اعرف. على فكرة، هل تنوين البقاء هنا طويلا؟

ـ كلا، لن ابقى طويلا. ربما أرحل غدا في الصباح.

ـ قبل ان تقابلي السيد لويد؟

ـ نعم. . . بدون ان اراه. ثم، ليس من الضروري ان اقابله. سوف ارحل بعد ان اترك الاوراق المكلفة بتسليمه اياها مع أي شخص.

ـ آه، لم اعرف بأنك مكلفة بتسليمه بعض الاوراق الخاصة به. لا شك في انها اوراق مهمة والا لكانت أرسلت اليه بواسطة البريد، أليس كذلك؟

ـ ربما. ولكنها ذات طابع شخصي محض. . . ولا علاقة لأحد بها سواي.

ـ أرجوك ان تفهميني. انا لا اقصد التدخل في شؤونك الشخصية، ولا أسمح لنفسي بذلك. أرجوك ان لا تشككي في كلامي او في نواياي. كل ما في الامر ان تفكيرك بمغادرة المكان قبل مقابلة لويد اثار اهتمامي فاندفعت استفهم لمعرفة ما اذا كانت ريانون هي السبب ام لا. هذا كل شيء.

ـ مهما يكن. . . سأكون سعيدة جدا اذا عدت الى لندن. . . للتمتع بالحياة الهادئة الهانئة هناك. . . الحياة الخالية من العقد، والمشاكل، والصعوبات. . . يقولون لي ان الحياة هنا طبيعية. . . بسيطة. . . غير معقدة، ولكنني لم افهم كيف، وعلى اي اساس، يصنفون حياتهم هكذا.

كان مورغان ودافينا يضحكان ساعة وصلت الآنسة ريانون فجأة، وبدون سابق انذار، لتشاهدهما وتقول بلهجة لا تخلو من العصبية:

ـ لماذا كل هذا الضحك الصاخب؟ هل لي ان اعرف السبب!؟ لا بأس واضحكا ما طاب لكما الضحك. هل آخذ الفنجان. . . هل شربت قهوتك؟

وتأملها مورغان لحظة ثم راح يداعبها بكلمات معسولة ولاذعة في

آن. من ذلك انه ذاهب لتوه الى البيت كي يرتدي افضل ثيابه ويعود للذهاب معها الى حفلة الرقص المنوي احياؤها الليلة في البلدة. قال لها هذا الكلام بعد ان رآها مرتدية فستاناً جديداً. وجاءه الجواب سريعاً، ربما بأسرع مما كان يتصور، اذ اجابته فورا انها ليست في وارد الخروج معه.

واعتبر مورغان هذا الرفض بمثابة شذوذ عن القاعدة من قبل الانسة ريانون، اذ لم يسبق لها أن رفضت له طلباً في الماضي. ولكنه تقبله ببشاشة، ثم التفت الى دافنيا وسألها:

- ما رأيك؟ هل تحبين الخروج معي لقضاء سهرة عامرة بالرقص والموسيقى؟ ستكون تجربة مفيدة لك للتعرف على طبيعة حياتنا الليلية في الريف. ارجو الا تخيبي أملي كما خيبته الانسة ريانون!

وهنا تدخلت ريانون وردت عليه قائلة:

- لا أظنها تريد أن تورط نفسها في حفلات تافهة... وبرفقة انسان لا تعرفه...

أدار مورغان وجهه نحو دافنيا وهو يقول موجهاً الكلام الى الانسة ريانون بطريقة غير مباشرة:

- من المعروف أن سلاح المرأة دموعها، لكن سلاحك أنت، بل وأقوى سلاح تملكينه... هو لسانك، ويا له من سلاح فتاك لولا قذارته...

قال ذلك وصمت لحظة وهو يدير وجهه نحو الآنسة ريانون ليخاطبها وهو يقصد بكلامه دافنيا بصورة غير مباشرة:

- انها تغار منك لأنك لطيفة مهذبة ومثقفة. ولهذا السبب رفضت الخروج الليلة لكي لا تنكشف أمامك بعد ان يلاحظ الناس الفرق الكبير بينك وبينها، فتفقد شعبيتها...

ثم عاد واستدار صوب دافنيا وتابع حديثه موجها الكلام الى ريانون بطريقة غير مباشرة:

- كنت اتوقع منك ان تشجعيها على الخروج الليلة، كي ترفه عن

نفسها قليلا، وتنسى العذاب بعيدا عن النظرات المريبة، ولوعة الغيرة... ما كنت اتصورك قاسية القلب الى هذا الحد نحو واحدة من افراد عائلتك...

فقاطعته ريانون وكأنها أدركت ما كان يرمي اليه من خلال حديثه الطويل وردت عليه بحدة وانفعال:

- ومن الذي اخبرك بأنها فرد من افراد عائلتي؟ لقد أخطأت الهدف يا هيو... كلا انها ليست من افراد عائلتي...

قالت ذلك وخرجت.

عندها، التفت هيو الى دافنيا وعاد يسألها:

- ما رأيك؟ أظنها ستكون فرصة مفيدة لك جداً. من الخطأ ان تعودي الى لندن بدون ان تحملي معك ولو ذكرى واحدة تذكرك بهذه المنطقة الريفية وحياة الفلاحين فيها... فرصة سعيدة ربما جعلت منك مؤلفة مشهورة، اذ قد يخطر ببالك تأليف كتاب عن الحياة في الريف، والتقاليد، والعادات، وغير ذلك من الشؤون والشجون... بدلا من نشر مؤلفات الاخرين... والمواهب متوفرة ولا ينقصك شيء لبلورتها واظهارها سوى الخبرة... فليكن خروجك الليلة الخطوة الاولى في مسيرة الالف ميل.

لم ترد دافنيا على الفور وانما بقيت صامتة وهي تفكر تارة، وتتأمله طورا، ثم قالت:

- لو كنت أستطيع لما ترددت لحظة واحدة في الخروج برفقتك الليلة. آسفة جداً! يجب ان أنام باكراً كي أستطيع القيام برحلة العودة غداً، وهي، كما لا يخفى عليك، رحلة طويلة وشاقة.

- يبدو لي ان الامور لن تسير حسبما اشتهي واتمنى، وما علي سوى الرضوخ للأمر الواقع، ما دمت سيء الحظ الى هذا الحد.

قال ذلك وهو ينهض من مقعده ويستعد للخروج فاستمهلته وهي تقول له:

- مهلا يا سيد هيو! قلت ان الحفلة ستبدأ بعد ثلاثة ارباع الساعة

من الآن، اليس كذلك؟ أجل، انتظرني حتى اغير ثيابي، ونخرج معاً.

- كلا، لا استطيع انتظارك اذ عليّ ان اغير ثيابي انا ايضاً، ساذهب واعود بسرعة. حاولي ان تكوني جاهزة عندما اعود.

وتابع طريقه الى الخارج عبر الباب الخلفي، حيث التقى ريانون وقال لها بدون ان يتوقف عن المشي:

- كيف حال رأسك؟ هل تحسن؟ سلامتك؟

اعقب ذلك فترة قصيرة بدا الصمت خلالها سيد الموقف، بعد ان غادر هيو المكان، وانتقلت الآنسة ريانون الى المطبخ وهي مرتبكة، حائرة، صفراء اللون، وانهمكت دافينا بتغيير ثيابها استعداداً للخروج وهي مبلبلة الفكر كمن يبكته ضميره لشعوره بارتكاب خطيئة كبرى.

وما هي إلا دقائق معدودة حتى انتهت دافينا ولبثت تنتظر عودة هيو. صحيح ان دافينا وافقت على الخروج برفقة هيو وحضور تلك الحفلة الراقصة، ولكن الصحيح ايضاً انها وافقت على مرافقة هيو بالرغم من ارادتها بسبب التصرفات الشاذة والمخجلة التي مارستها ريانون حياله وحيالها، في آن معاً، بل انها لم تكن متحمسة للخروج أبداً، لا برفقة هيو، ولا برفقة اي شخص سواه، ليس فقط لأنها متزوجة، بل ايضاً لأنها محافظة. وهنا شعرت بوخز الضمير يوبخها على اقحام نفسها في المعادلة القائمة بينهما، بغض النظر عن الاخذ والرد، واللف والدوران، والدور السلبي الذي لعبته ريانون. وفكرت بأنه كان يجدر بها ان تلتزم جانب الحياد المطلق في الحوار الذي دار بينهما، او ان تتوارى عن المسرح وتتركهما يسويا امورهما الخاصة بنفسيهما. وهنا حدثتها نفسها: لو تصرفت كما يجب ان تتصرف لكان بوسعها التوصل الى حل سليم للمشكلة وابقيت نفسك بعيدة عن أية مشاكل قد يخلقها خروجك برفقة شاب لا تعرفين عنه شيئاً.

وهنا خطر ببالها ان تذهب وتقابل الآنسة ريانون، كي تقنعها بضرورة الخروج مع مورغان الليلة وتقول لها بكل صراحة ان ليس في نيتها الخروج الى أي مكان.

من الواضح ان دافينا كانت تحاول اعادة الامور الى مجراها الطبيعي بين هيو وريانون بعد الهزة العنيفة التي تعرضت لها، والحوار العنيف الذي دار بينهما، وما تخلله من تصرفات شاذة ونظرات عدائية، وعبارات قاسية.

وكان هناك ما يبرر لدافينا محاولة الاتصال بالآنسة ريانون واقناعها بالتراجع عن موقفها الرافض والموافقة على الخروج برفقة هيو. كما كانت مقتنعة بأن ريانون كانت تتوقع الخروج والسهر في مكان ما هذه الليلة، بدليل انها شاهدتها ترتدي فستاناً جديداً.

المهم ان دافينا قامت بالمحاولة، فاتصلت بالآنسة ريانون وحاولت اقناعها بتسوية الامور بينها وبين هيو، وافهمتها بمنتهى الصراحة ان تصرفاتها غير اللائقة دفعت هيو الى ان يدعوها هي للخروج معه بدلا منها.

فماذا كانت النتيجة؟ لا شيء اذ ظلت ريانون متشبثة بالرفض، برغم الجهود التي بذلتها دافينا في هذا السبيل. بل انها ذهبت الى أبعد من ذلك، فحذرتها من مغبة التدخل في شؤونها، او الحديث عن مميزات مورغان ونواياه، حتى انتهت الى القول بأنها ادرى الناس بشؤون مورغان، محذرة اياها بضرورة الكف عن اللعب على الحبال والا . . .

وصمتت ريانون وهي ترتعش وترتجف من الانفعال، ثم التفتت اليها وقالت بحدة:

- بمكنك الذهاب الآن والخروج مع مورغان. . . ولك مني أطيب التمنيات والدعاء بالفرح والسعادة.

هزت دافينا كتفيها عجبا مقرونا بالحسرة وهي خارجة من غرفة انسة ريانون ولسان حالها يقول: شأني شأن جميع سعاة الخير. . . وما

عليّ الا تقبل النتائج مهما كانت مريرة وقاسية. ثم عادت الى غرفتها، فأغلقت الشباك، وألقت نظرة اخيرة على نفسها في المرآة، واخرجت شالها الصوف من الخزانة، واقفلت الباب، وسارت في طريقها الى الخارج عبر غرفة الطعام.

دهشت السيدة باري عندما رأت دافنيا في طريقها الى الخارج وسألتها مستوضحة الامر:

- أراك خارجة... هل انت ذاهبة في نزهة؟ الطقس بارد في الخارج ومن الافضل لك ان ترتدي معطفاً. اذا لم يكن عندك معطف ترتدينه، فانني مستعدة لاعارتك معطفي.

- شكراً...

وصمتت لحظة وهي تشعر بالضيق والانزعاج، ثم تابعت تقول:

- الحقيقة انني خارجة برفقة السيد مورغان الذي دعاني الى حضور حفلة موسيقية راقصة بعد ان رفضت الانسة ريانون مرافقته الى الحفلة...

واذا بالسيدة باري تتأملها طويلا وهي ترفع حاجبيها وقالت متسائلة:

- صحيح؟ شيء غير معقول! وكيف تقبلين الخروج معه؟

- اجل قبلت. وأي ضرر في ذلك؟ هل هناك ما يمنع الخروج برفقة فتى ظريف ولطيف مثل السيد مورغان!

- تقولين فتى؟ ما شاء الله! وأنت، كم عمرك؟ انه اكبر منك بسنتين، على أقل تقدير. ما كنت اتوقع منه ان يدعو امرأة غريبة عنه ومتزوجة للخروج معه. لست ادري ماذا ستكون ردة فعل والدته والسيد لويد على مثل هذا التصرف، وهذا الحدث الطريف!

حدقت دافنيا فيها طويلا وقد راودتها دهشة عارمة، ثم ردت عليها قائلة:

- لماذا تعملين من الحبة قبة!؟ ألا تعلمين ان مورغان دعاني للخروج معه نكاية بابنتك ولمجرد ان يعلمها درسا في ادب السلوك؟

هذا كل ما في الأمر، اذ انني لا اعني شيئاً في نظره.

وهزت السيدة باري كتفيها استخفافاً وهي ترد عليها ببرودة اعصاب قائلة:

- سامحيني اذن... الحق عليّ لأنني تدخلت في ما لايعنيني. ولولا حرصي على سمعتك وكرامتك لما كنت سمحت بلفت انتباهك الى عواقب هذه التجربة المغايرة للعادات والتقاليد المألوفة في منطقتنا، والتي تجهلينها ولا شك، وهي تختلف كليا عنها في لندن... اذ ان الزوجات هنا لا يخرجن إلاّ برفقة الأزواج، والا بقين داخل البيوت.

وهنا ازدادت دافنيا غضبا وعصبية وهي ترد عليها قائلة:

- أجل، لو اتبعت هذه القاعدة خلال السنتين الماضيتين لكنت اصبحت ناسكة.

- انت صاحبة الرأي والخيار! أما أنا فاعتقد بأن على المرأة ان تتبع زوجها، وتطيعه، وتبتعد عن اثارة المشاكل وإلا كان تصيبها المتاعب والهموم.

وردت دافنيا بلهجة مقرونة بالتحدي تقول:

- لعلمك بأنني لم أعط فرصة واحدة للاختيار، او لابداء الرأي، اذ كان السيد يصر على ممارسة قاعدة حياتية خاصة به. ألا تعرفين هذه الحقيقة ام انك تتجاهلينها!

- قلت لك وأكرر القول بأنني لا أعرف شيئاً عما حدث بينكما ولا اريد ان اعرف. ولكن من المفيد معرفة ان الخروج برفقة رجل غريب امر غير مقبول وغير لائق هنا، ومن شأنه ان يجعل الامور اكثر تعقيداً. هذا ما يهمني ابلاغك اياه، واعذر من أنذر.

ثم تركتها وذهبت الى المطبخ، وتابعت دافنيا طريقها الى الخارج.

وقفت تنتظر وهي تفكر بأن للسيدة باري الحق في التعبير عن رأيها بكل صراحة وحرية، والدفاع عن زوجها السيد لويد، لكونها عمته. ولكنها تساءلت: ترى، ماذا كانت السيدة باري ستقول او كيف تتصرف لو كان زوجها يعاملها المعاملة نفسها التي يعاملها اياها

لويد؟ لا شك في انها كانت ستقيم الدنيا ولا تقعدها. لكنني اعذرها. فهي معذورة لأنها لا تعلم شيئاً عن حقيقة ما جرى بيننا. ولا أظنها استيقظت يوماً لتجد ان زوجها غادر البيت وترك لها ملاحظة مكتوبة على قصاصة من الورق تقول «الى اللقاء»، أو انها عانت آلام الوحدة والوحشة والعذاب والاحزان كما عانتها هي في المستشفى، فضلا عن الهموم والمآسي التي عاشتها ساعة فقدت جنينها بدون ان تجد بجانب سريرها من يعزيها ويواسيها، وبدون أن تتوقف عن همس اسم زوجها. أجل، لا اتصورها تعرضت ولو مرة واحدة لأي حادث من الاحداث التي تعرضت لها انا، ولا اجهضت جنيناً، ولا مرّت بمثل هذه التجربة المريرة، أو عانت مرارة الفراق والبعاد عن زوجها كما عانيت وتعذبت وتحسرت. وقد صدق من قال: المصيبة لا يشعر بها إلا صاحبها. وهذا ما يشفع للعمة باري فيما ذهبت اليه في الدفاع عن لويد، والتلويح امامها بأن لتصرفاتها حدود لا يجوز لها ان تتخطاها.

ثم توقفت لحظة عند ردّة الفعل التي جاءت السيدة باري على ذكرها في سياق دفاعها عن لويد وهي تفكر بالوسيلة التي سيرد بها على خروجها الليلة برفقة شاب غريب، وهو الذي هجرها بعد زواجها ببضعة أسابيع، وسافر الى اميركا وانشغل عنها بالمسرات بدون ان يكلف نفسه مرة ان يكاتبها أو يردّ على رسالة واحدة من رسائلها، أو رسائل محاميها، ناهيك عن نظراته الجامدة، والمريبة، التي كانت تلاحقها حيثما اتجهت وتحركت، خلال الايام القليلة التي عاشاها معاً، قبل سفره الى الخارج، والتي جعلت حياتها أشبه بالجحيم. وماذا تفيدني حلاوة اللسان اذا كنت سأدفع ثمنها من حريتي وكرامتي وسعادتي!

وكما ان لويد كان يبالغ في مجاملة زوجته حتى الابتذال، ويلاحقها بنظراته الشاخصة الفاحصة حتى الرهبة والارتياب، كذلك كانت دافينا تبالغ في وصف مجاملاته الى الحد الذي يطبعها بطابع التهكم

والمراوغة، وفي تشخيص نظراته الى الحد الذي يطبعه بطابع السيد المستبد. وتبقى الحقيقة التي يجب ان تقال وهي ان لويد اخطأ الهدف عندما راح يعامل زوجته بقسوة ومكابرة واهمال. لا لشيء إلّا نكاية بوالدتها وانتقاماً منها لكرامته، وان دافينا اخطأت التصرف عندما راحت تتصوره يحاول من خلال معاملته تلك فرض ارادته عليها، والقضاء على حريتها الشخصية، فاصبحت أسيرة الهواجس وشتى الانفعالات والتناقضات.

وهكذا تحولت طمأنينتها الى قلق، وانقلب حلمها الجميل الى كابوس مزعج، وصفاء الذهن الى بلبلة، لا تعرف الراحة او الاستقرار، ولا تدري ما اذا كان يصح تسمية لويد كشريك حياة، ورفيق عمر، كما حلمت بذلك ذات يوم.

ثم تنهدت وشهقت والالم يحز في نفسها حين تصورت أشلاء حلمها الجميل تلوح امامها في الهواء بعد ان تحطم على صخرة التصرفات الشاذة، تصرفات من كانت تضع كل آمالها المستقبلية في شخصه، وتتوقع منه ان يعاملها معاملة الشريك للشريك، او الند للند، لا معاملة السيد للخادم.

كم هي مسكينة هذه الفتاة! والى أي حد كانت غارقة في الحيرة، والى اي مدى كانت تسير وراء أفكارها الخيالية، والى متى ستظل أسيرة الانفعالات العاطفية! وغالبا ما كانت تتوج همومها بالبكاء، كما أوشكت أن تفعل الآن لو لم يصدها عن ذلك صوت سيارة قادمة في اتجاهها من بعيد، والتي سرعان ما تبين بأنها سيارة السيد مورغان الذي كانت تنتظره.

ترجل مورغان من السيارة، وأسرع الخطى نحوها. كان يرتدي بدلة جديدة، قاتمة اللون، وبدا فيها اكبر سناً من عمره الحقيقي، واكثر ثقة بالنفس مما اظهر سابقاً. أما دافينا فقد تمنت بأن لا يغيب عن بال السيد هيو ان الدافع الحقيقي الذي جعلها تقبل دعوته والخروج برفقته الليلة ليس له أدنى علاقة بجماله أو بريعان شبابه،

وانما لغرض في نفسها.

والحقيقة ان دافينا شاءت الاستفادة من هذه الفرصة، فرصة لقاء هيو صدفة ودعوته اياها للخروج معه، كي ترى ماذا سيفعل زوجها بعد ان يسمع الخبر. وقد اتخذت جميع الاحتياطات لمواجهة كافة الاحتمالات.

كانت تحمل في جعبتها بعض الصور التي التقطت لزوجها وهو يجالس بعض الممثلات اثناء وجوده في أميركا، أرسلها احد اصدقاء العائلة الى والدته. وقد نشرتها الصحف في حينه، خاصة الصورة التي أخذت له برفقة ممثلة تدعى ليز أديرقامت بدور البطولة في احد افلامه. وفكرت بان الفرصة سانحة الآن لمواجهته بكل هذه الحقائق، وكشفه على حقيقته امام الناس، ودحض اقوال وكيله الذي نفى وجود اية علاقات بين زوجها والفتيات اللواتي ظهرت معه في الصور، ووصف الاخبار والصور التي نشرتها الصحف هناك بأنها للدعاية.

وهكذا خرجت دافينا برفقة هيو، وتوجها الى تلك الحفلة، التي حضرها عدد كبير من شبان المنطقة وشاباتها. ورقصت دافينا حتى التخمة، على انغام الموسيقى الناعمة، الحالمة. رقصت مع هيو، وتناوبت على الرقص مع عدد من اصدقائه.

وكان من الطبيعي ان يلاحقها بعضهم بنظرات مريبة عكست التساؤلات التي راودتهم حول الاسباب التي جعلت هيو يأتي هذه المرة الى الحفلة برفقة فتاة غريبة، خلافاً لعادته. كما ساورت البعض الاخر المخاوف من ان تكون العلاقة الحميمة القائمة بين هيو وريانون قد تعرضت لانتكاسة خطيرة باتت تهدد بانقطاع هذه العلاقة.

وما عدا ذلك، يمكن القول ان دافينا امضت بضع ساعات تسرح، وتمرح، وترقص، وهي تشعر نفسها خالية من الهموم والاحزان وكأنها من جديد، لغاية ان انتهت الحفلة، وعادت

الى الفندق برفقة هيو.

هذا ورفض هيو إلّا ان يرافقها الى باب الفندق الرئيسي، حيث شكرها وودعها قائلاً:

ـ طابت ليلتك، يا سيدتي! صدقيني انه لولا ارتباطك بالسيد لويد وارتباطي أنا بالآنسة ريانون التي يصعب اقناعها بجدية تعلقي وارتباطي بها، أجل، لولا هذا الرباط وذاك، لكنت أقرنت كلمات الوداع بعناق. وحسبي أنني حظيت الليلة بشرف الخروج برفقتك. انها فرصة سعيدة جداً لن انساها. ارجوك ان تنسي تصرفات ريانون الناتجة عن انخداعها بشخصية لويد. ولا يهمك! تصبحين على خير.

قال ذلك واستدار وسار نحو سيارته، فصعد اليها، ثم انطلق بها، فيما كانت دافينا تراقبه حتى غاب عن الانظار. ففتحت الباب ودخلت منه الى الصالون، حيث بقيت واقفة بضع دقائق تفكر بما كان للموسيقى والمرح من آثار بارزة كانت تشعر بها، اذ بدت هادئة الاعصاب، متجددة النشاط، لا يراودها أي شعور بالخيبة أو بالهواجس المثيرة للقلق والانفعال.

لكن شعورها بالانتعاش وهدوء الاعصاب لم يمنعها من التفكير باتخاذ كافة الاحتياطات الضرورية لمواجهة مختلف حالات الارق، والالم، والصداع، حال حدوثها. فذهبت الى المطبخ كي تحصل لنفسها على بعض الحبوب المهدئة للاعصاب والأوجاع، وهي تتلمس طريقها اليه في الظلام، بمحاذاة الحائط، وتتحسسه بيدها بحثا عن زر الكهرباء لانارة المكان. وفوجئت عندما شاهدت النور يشع بوجهها من خلال الغرفة المجاورة للمطبخ، وسمعت جلبة وضجة حسبتها ناتجتان عن اصطدامها بكرسي كانت هناك، لتجد نفسها واقفة وجها لوجه امام زوجها، وهو يبتسم لها ابتسامة ماكرة ويبادرها القول بلهجة ساخرة:

ـ مساء الخير، ياعزيزتي! ها نحن نلتقي من جديد!

٤ - سرير الذكريات

ظهور لويد المفاجىء امام دافينا وهي تتصور بأنه كان يسرح ويمرح في مكان يبعد مئات الاميال عن مكانها، اذهلها، وادهشها، واربكها، لدرجة تفوق التصور، وتفوق قدرتها على الاحتمال. فوقفت أمامه مشدوهة، وعاجزة حتى عن النطق.

وقفت امامه برهة من الزمن وهي تحاول استعادة سيطرتها على اعصابها المضطربة، وهو يتأملها بنظراته المألوفة التي طالما ارهبتها، وافزعتها، وحاولت الافلات من طغيانها. ثم فكرت بأن الوقت هو للصمود والعمل وليس للجمود والسكوت، فلملمت خيوط شجاعتها التي تشتت، والتفتت اليه وقالت له. بتلعثم:

- لم اكن اتوقع وجودك هنا.

تأملها وهو يحرك حاجبيه صعوداً ونزولاً ثم رد عليها قائلاً بتهكم وسخرية:

- اما كنت تتوقعين رؤيتي؟ ولم لا؟ رؤية من كنت تتوقعين اذن؟ ما دمت اعيش هنا فأنا اذن موجود، اليس كذلك؟

احمرت وجنتاها من الخجل وهي ترد قائلة:

- اكيد! طبعاً! هذا امر مفروغ منه، آسفة! يبدو اني غبية.

- شكراً على اعترافك بالأمر الواقع. يا له من اقرار واضح وصريح تنطق به سيدة محترمة تعتبر قدوة في برودة الاعصاب على غرار والدتها تماماً. . .

وسكت لحظة وهو يتأملها ثم تابع قائلاً:

- ماذا جرى لك يا دافينا! يبدو لي ان وزنك قد خف بشكل ملحوظ، وترك آثاره السلبية على قوامك وجمالك. ما الخبر؟

- سنتان مضتا على فراقنا، يا سيد لويد! واشياء كثيرة تغيرت وتبدلت خلالها، الهذا الحد تخونك الذاكرة؟

وصمتت تحدق فيه ملياً لتكتشف التغييرات التي طرأت عليه. . . ملامح وجهه تغيرت فأصبحت اكثر صلابة وقساوة من قبل، وشعر رأسه خالطه بعض الشيب. لكنها لاحظت بان هذه التغييرات لم تقلل من فتنة رجولته او جاذبيته. وفكرت بان المواجهة بينهما ستحصل خلال اللحظات القادمة، وما عليها الا ان تشعره بانها مستعدة لكافة الاحتمالات. ثم رفعت رأسها وقالت بجرأة وصراحة:

- كنت عطشانه وجئت اشرب ماء، فدعني اشرب قبل البدء بالحديث. . .

فقاطعها وقال:

- اي حديث؟ في اي حال، سوف ادعك تحدثيني عما تحملينه في جعبتك من اخبار.

قال ذلك وسار بجانبها بعد ان تحركت نحو المطبخ فدخلته ومدت يدها الى علبة الاسعافات الأولية لتأخذ لنفسها منها بعض الحبوب المسكنة التي كانت تنوي تناولها قبل النوم. وفوجئت عندما حاول منعها من تناول تلك الحبوب وهو يقول:

- ما هذه الحبوب؟ لتهدئة الاعصاب ام للنوم؟

- ليست مهدئة ولا منومة، في اي حال، عندي حبوب منومة فوق، في الطابق الثاني.

هنا، خطر له ان يختبرها، فراح يقترب منها، ويحاول ان يداعبها ويلامسها، فيما كانت هي تتراجع الى الوراء كلما تقدم هو خطوة الى الأمام، حتى حشرها بين الحائط والطاولة ولم يبقى امامها اي مجال

للتملص منه سوى البقاء والجلوس حيث هي، بينما ظل هو واقفاً يتأملها كمن يشعر بحلاوة الانتصار، ثم قال لها:

- الآن يمكنك التحدث معي. تفضلي! كم انت محظوظة! لم يكن في نيتي العودة هذه الليلة. ولكنني عدت بسرعة بعد ان علمت بوجودك.

قبل التعليق على كلامه، حاولت دافينا ان تعطي نفسها وقتاً كافياً للتفكير بمن عساه اخبر لويد عن قدومها، الى ان انتهت الى الاستنتاج بأن ليس هناك سوى عمته باري. وربما الحت عليه للعودة قبل فوات الأوان، او قبل ان تجد زوجته الغريبة صديقاً جديداً ينقذها من كافة المآسي التي تعانيها، والمشاكل التي تتخبط فيها، ثم ردت عليه قائلة:

- الموضوع عكس ما تتصور وتفكر. لو لم تثرني ريانون وتحتقرني لما كنت قبلت دعوة هيو للخروج معه.

رفع لويد كتفه استخفافاً كأنه يريد افهامها بأن ذلك لا يهمه اطلاقاً ثم حدق فيها ورد قائلاً:

- لم اطلب منك توضيح الاسباب التي ادت الى تصرفك. المهم، ان العناق البريء الذي جرى امامي قبل لحظات كاف لاثبات هذه الحقيقة.

- ربما فوجئت بقدومي الى هنا. ولكن ليس هناك ما يدعوك للقلق فانا هنا للقيام بمهمة رسمية.

- لم اشك لحظة في ذلك، وانا اتمنى لك النجاح في مهمتك. وانما الخلاف بيننا يدور حول تفسير الاسباب التي دفعتك للمجيء.

- اجل، اني اقوم بزيارة عمل... صدقني.

- اني اصدقك لدرجة بت معها اتصور بأنك تحملين معك بعض الاوراق الاسطورية من عمك لتسليمها الي. أليس كذلك؟

- بلى، ولكنها ليست ذات صفة اسطورية كما وصفتها. دعني اذهب واجلبها لك اذا شئت وعندها ترى...

فقاطعها ليقول لها وهو يشير عليها بان لا تتحرك من مكانها:

- لا، لا! ليس الآن. امرها لا يهمني كثيراً، ولكن يمكنك بالطبع ان تعطيني لمحة عنها.

وردت عليه وهي تتصور بأن مثل هذه البداية لا تبشر بالخير ابداً:

- اجل، يسألك عمي فيليب، قبل اي شيء اخر، عن مصير كتابك المقبل؟ وعن موعد تسليم المخطوطة تمهيداً لطبعها ونشرها، خاصة ان القراء الاميركيين ينتظرون اصداره وتوزيعه على احر من الجمر.

تأملها ورد يقول بلهجة ناعمة:

- هل ارسلك فقط لطرح هذا السؤال؟ كنت اتوقع توجيه مثل هذا السؤال الى وكيل اعمالي.

صمت ينتظر تعليقها على كلامه، وهو يحدق فيها بنظرات مركزة، بينما كانت هي تتجنب النظر اليه، الى ان ردت قائلة:

- ولكن وكيل اعمالك الادبية نفى معرفته بما تقوم به هذه الأيام.

- شكرا لك على هذا الجواب. اجل، انا لا اقوم بأي عمل، ويبقى عليك ان تنصحي عمك بنسيان الموضوع وتبليغ ذلك للقراء الاميركيين. لن يكون هناك اي كتاب جديد. مفهوم!

هبت دافينا واقفة وهي تقول:

- تصرفك الليلة غير معقول اطلاقاً، يا لويد. انت لا تستطيع خيانة موهبتك او التراجع عن رسالتك الادبية بهذه السهولة.

- اسمعي جيداً ما سأقوله...

وقاطعته لتقول وبريق الدهشة يشع من عينيها:

- كلا، ليس من المعقول ابداً التفكير باعتزال مهنة الكتابة بعد الشهرة الواسعة التي اكتسبتها. ان قراءك الذين عندهم يتحرقون شوقاً لمطالعة المزيد من عطائك الادبي والفكري. لا، لا، لا يحق لك ان تخونهم.

- لماذا تدافعين عني الآن بحماس منقطع النظير؟ هل انت حقاً قلقة على مصيري، ام على القراء، ام على ارباح الدار التي ستتدنى

كثيراً في حال توقفت عن الكتابة، ام ماذا؟

تأملته طويلاً ثم ردت بلهجة لا تخلو من الامتعاض:

- انني اخجل من وصف اقوالك بالغباوة. في اي حال، اذا كنت مؤمناً باقوالك فما عليك الا ان تفسخ العقد القائم بينك وبين الدار، ثم اذهب واعرض كتابك على غير ناشر، وكن على ثقة بأن عمي فيليب لن يقف حجر عثرة في طريقك.

- هكذا! ولكنني استبعد ان يشكرك العم فيليب على اقتراحك هذا. هل نسيت انه رجل اعمال...

وصمت لحظة يفكر ثم تابع يقول:

- انا شخصياً احبه لأنه الوحيد من بين اعضاء اسرتك الذي لم يلحقني منه اي ضرر او ازعاج.

قال ذلك وراح ينتظر جوابها، ليعود ويضيف متهكماً بعد طول صمت وانتظار:

- مع ذلك، انا لا اصدق بأن العم فيليب سيبقى ساكناً في حال تعاملي مع ناشر سواه، علماً بأن ليس لدي الآن اي كتاب جاهز كي اعرضه عليه.

- لكنك باشرت بتأليف كتاب ما قبل سفرك الى اميركا!

ثم استدركت تقول بسرعة، وقبل ان يتسنى له التعليق على ما قالته لتوها:

- لا، ليس قبيل جولتك الاميركية وانما قبل ان تهجرني...

وصمتت بانتظار الجواب لمعرفة ما اذا فاته ملاحظة تبديل زمن الكتابة، ام لا، فيما كان هو يتأملها ويرد بلهجة لطيفة ومهذبة:

- يا لها من ذاكرة عظيمة... ذاكرتك مدهشة... لسوء الحظ، ان ذاك الكتاب الذي تحدثت عنه طواه النسيان...

- ولكن يمكنك اعادة النظر فيه. من يدري! ربما اخذ طريقه الى النشر. كثيرون غيرك بدأوا الكتابة، ثم توقفوا، ثم اعادوا النظر

فيها، ونجحوا في غالب الاحيان. وانت يمكنك تطبيق الطريقة نفسها. حاول ذلك وانا متأكدة بانك ستنجح.

تأملها ثم رد عليها بلهجة ساخرة:

- ربما! ولكن مثل هذه الافكار لا تراود الا مخيلة اصحاب دور النشر. حسبي انني عرفت الآن ما يسري في عروقك. اجل، ان ما يسري في عروقك هو حبر الطباعة وليس الدم.

وشعرت دافينا بصدمة قوية تصيبها بعد ان وصفها لويد بهذا الوصف الذي لم تألف سماعه من قبل، ولكنها طوت المها بين الضلوع، رافضة الانسياق وراء مثل هذه الصغائر، ثم رفعت رأسها وجاوبته قائلة:

- ماذا كنت تنتظر مني ان اقول غير ذلك القول، يا لويد؟ قلت لك، واكرر القول بأنني هنا في زيارة عمل ومكلفة للقيام بمهمة رسمية من قبل الدار.

- اذا كان الأمر كذلك يؤسفني القول بأن زيارتك فاشلة ولم تكن ضرورية، لأنني طلقت الكتابة وبدأت العمل في مجالات اخرى.

- عرفت ذلك... هل صحيح انك تحاول اعادة تأهيل معمل حياكة الصوف!

- نعم، هذا صحيح! يبدو ان هذا العمل لا يعجبك. قد لا يعجبك هذا العمل لانك تجهلين اهمية مهنة حياكة الصوف والاقمشة... انها اقدم من مهنة صياغة وفبركة الكلام بعدة قرون، وربما كانت اكثر جدارة منها بالاحترام.

قال ذلك ثم انتقل من مكانه ليجلس بالقرب منها وهو يقول:

- المهم هو انني افعل ذلك، ليس فقط بدافع تقديري لأهمية الصناعة، وخاصة الحياكة، بل ايضاً لأن المنطقة بحاجة اليها، بغض النظر عما اذا كانت صناعة خفيفة ام ثقيلة.

- ما بالك تتحدث بلغة رجال البر والاحسان وانت الذي طالما هاجمت عمي فيليب كلما كان يشجعك على القيام بعمل يفيدك!

- لماذا تربطين حديثي عن تنشيط الصناعة بأعمال الخير والاحسان؟ قصدت القول ان الصناعة ضرورية لمكافحة البطالة وتعميم الفائدة في المجتمع، وانا اقوم بترميم معمل الحياكة على هذا الاساس، بالاضافة الى تنشيط حركة السياحة، كما سبق وقلت.

تأملته قليلاً ثم ردت تقول بامتعاض:

- اخبرني، يا لويد، هل انت مقتنع بفائدة ما تقوم به؟ هل يرضيك بيع الخيطان والاقمشة والسجاد لقاصدي النزهة في هذه المنطقة البعيدة عن العالم؟

رفع حاجبيه من الدهشة وهو يعلق على تساؤلاتها قائلاً:

- من المؤسف جداً انك لا تقدرين هذه المهنة حق قدرها، ولا المنطقة. انت حرة. اما انا فأعشق هذه الأرض واتصورها كالجنة منذ نعومة اظفاري، لدرجة اصبحت عندها اتمنى لأولادي ان يترعرعوا ويعيشوا ويعملوا فيها...

فقاطعته لتقول له متسائلة بحدة ودهشة:

- وماذا تفعل بالافاعي الزاحفة على بطونها في كل اتجاه؟

- لا شيء، بل سأتركها تزحف. هل نسيت الأرض لا تخلو من الافاعي؟ من الطبيعي ان تكون لكل جنة افعاها! اليس كذلك؟

لم ترد. ظلت صامتة تفكر بما يقصده من اشارته الى البنين كأنه يجهل، او انه يتجاهل، واقع حياتها الآنية، وانفصال احدهما عن الآخر حتى هذه الساعة. وتساءلت: ما باله يتحدث بمثل هذه الروح المتفائلة عن المستقبل! وهنا عادت بها الذاكرة الى الجنين الذي فقدته والحسرة تحز في نفسها، خاصة عندما بدأت تتخيل شكل الحياة التي كانت ستعيشها فيما لو كتب الحظ للجنين ان يرى النور. ثم راحت تحدث نفسها: اذا شاء لويد ان ينسى ذلك الجنين الذي لم يبصر النور فلينساه، اما انا فلن انساه.

- دعنا الآن ننتقل الى الشق الثاني من مهمتي.

وصمتت تفكر ثم تابعت تقول:

- كلفني عمي فيليب بأن اعرض عليك القيام بجولة جديدة في اميركا بعد النجاح العظيم الذي حققته خلال الجولة السابقة.

حدق فيها لحظة ثم رد عليها مازحاً:

- الهذا الحد تحاولين التهرب من مواجهة الأمر الواقع؟ ام انك تحاولين نبش الماضي لتذكيري بشبكات التلفزيون والأندية الاجتماعية والثقافية هناك وعلاقاتي بها! تصرفاتك تحيرني.

- اجل، وهل تنكر ايضاً المتعة التي نعمت بها طيلة اقامتك هناك؟

- سواء نكرت ام لا، فهذا شأني انا وحدي. مع ذلك، سأبوح لك بسر وهو انني كنت متكدراً ساعة وصلت الى نيويورك لأسباب لا اود الكشف عنها الآن... ولم اتمكن من التغلب على الضيق والكدر الا بفضل ما لقيته هناك من ترحيب وتكريم.

قال ذلك وصمت. وظلت دافنيا صامتة وهي تتمنى في قرارة نفسها لو انها لم تثر هذا الموضوع.

ثم رفعت رأسها وقالت كمن يشعر بالهزيمة:

- يبدو لي ان من العبث متابعة الحوار معك. ومن الافضل لي ان اذهب وانام باكراً لأنني عازمة على السفر غداً صباحاً.

رد عليها بابتسامة فاترة قبل ان يعلق على كلامها قائلاً:

- ليس من المعقول ان تقرري الرحيل بدون ان تعطيني فرصة كافية للتفكير في عرضك المثير للاهتمام. فكري على الأقل بموقف عمك فيليب اذا عدت اليه فارغة اليدين.

- هل تقصد القول بأنك متفكر في الموضوع؟

- موضوع الجولة الجديدة، نعم، سأفكر فيه. ان المشاريع التي انوي تنفيذها تحتاج الى اموال كثيرة. آه، يا دافنيا، كم هي الحياة صعبة وقاسية عمك يستطيع الاستغناء عنك لمدة قصيرة تعودين اليه بعدها راضية مرضية.

عضت شفتيها من فرط الدهشة وهي تفكر بأن لا شيء يمنعها من البقاء هنا، طالما ان عمها فيليب شجعها على القيام بهذه الجولة

للاتصال بزوجها شخصياً، بدون ان تنسى الغرض الاساسي الذي جاءت من اجله، موضوع الطلاق ومحاولة اقناعه بالموافقة عليه.

ثم تطرقا الى مواضيع اخرى متنوعة. ودارت بينهما مناقشات عفوية، كانت تشتد وتحتد تارة، وتهدأ طوراً، حول الأحداث التي جرت خلال مدة انفصالهما، الى ان انتهى لويد الى القول:

- حان وقت النوم. اذهبي الآن ونامي في سريري وثقي بأنني لن اعكر عليك صفاء نومك.

وهكذا نهضت دافينا بسرعة وهي تحدق فيه بعمق كأنها تحاول قراءة افكاره لمعرفة ما اذا كان يفكر باللحاق بها، أم لا. غير انه ظل جالساً وهو يقول لها قبل ان يتسنى لها الخروج:

- دافينا، انني انصحك بالبقاء هنا، اذ ربما يحالفك الحظ في تحقيق الهدف الذي جئت من أجله. كلانا نجاهد في سبيل استعادة الحرية. على فكرة، نسيت ان اخبرك بأنني انوي الزواج ثانية.

صعقت دافينا من سماع ذلك. ثم خرجت مسرعة وهي لا تصدق ما سمعته اذناها، ودخلت غرفتها، وألقت نفسها على السرير وهي تحدث نفسها قائلة:

- ابشري، يا دافينا، وافرحي! انه سيوافق على الطلاق.

عندما استيقظت دافينا في صباح اليوم التالي، شعرت بالانقباض والضيق حين شاهدت الجو مكفهراً وملبداً بالغيوم نتيجة لتقلب الطقس خلال الليل. وسرعان ما سمعت الباب يدق، فتوجهت نحوه لتفتحه وهي تقول:

- مهلاً! مهلاً! دقيقة واحدة وأفتح الباب.

وما ان فتحت الباب حتى وجدت الآنسة ريانون واقفة أمامها، حاملة الشاي اليها، وبادرتها قائلة بحدة وغضب:

- لماذا تقفلين الباب بالمفتاح؟ ووضعت صينية الشاي على الطاولة بحدة وعصبية لدرجة أن الشاي تدفق الى خارج الابريق، وهي تثرثر وتقول: اقفلي باب غرفتك بالمفتاح عندما تعودين الى لندن... اما

هنا، فلا... لأننا لسنا لصوصاً. مفهوم!

فردت دافينا تلاطفها قائلة:

- عفواً! اعذريني، لأنني تعودت اقفال الباب بالمفتاح منذ صغري. صدقيني انني لم افعل ذلك عن عمد.

وبالرغم من تمادي الآنسة ريانون في تصرفاتها الشاذة نحوها، ظلت دافينا صامتة وهي تتأملها عائدة الى المطبخ، وتفكر جاهدة لمعرفة الاسباب الكامنة وراء هكذا تصرفات، وتوقفت طويلا عند السر الذي أعلنه لويد اثناء الحديث الذي دار بينهما مساء أمس، من أنه سيتزوج ثانية، وحاولت ان تقنع نفسها بوجود علاقة ما تربط بين تصرفات الآنسة ريانون، وعزم لويد على الزواج مجدداً.

والجدير بالذكر ان دافينا اوت الى غرفتها ليلة امس وهي تشعر بالقلق والأرق؟ من جراء التناقضات التي كانت تتخبط فيها. جاء يراودها الأمل باقناع لويد للموافقة على الطلاق، وعندما باح لها بأنه ينوي الزواج ثانية، اضطربت وارتبكت خشية ان ينفذ وعده فيطلقها ويتزوج. وأدهى من ذلك، تفاقم قلقها اثناء الليل لدرجة انها ظلت واعية وهي تتصور، كلما سمعت حركة ما، بأن هذا هو لويد في طريقه الى غرفة الآنسة ريانون.

والآن، بعد ان توارت الآنسة ريانون عن الانظار، واستعادت هي هدوءها، سكبت لنفسها الشاي، وحين انتهت، خرجت من غرفتها وهبطت الى الطابق الارضي، حيث تجمع بعض نزلاء الفندق استعداداً للخروج لممارسة رياضة ركوب الخيل.

ثم توجهت من هناك الى المطبخ حيث وجدت السيدة باري وريانون تقومان بوضع وجبات جاهزة من الطعام في أكياس نايلون صغيرة. بادرتها السيدة باري بالقول حالما رأتها:

- صباح الخير! أهلاً بك! سوف احضر لك الفطور حالما انتهي.

وردت دافينا قائلة لها بلطف:

- لا، شكراً، لا تزعجي نفسك اذ انني لا أتناول في الصباح سوى

عصير الفواكه والخبز المحمص. . . وهذه اشياء أستطيع تحضيرها بنفسي، وما عليك الا ان تخبريني أين اجدها.

- حاولت ان اوقظك من النوم، ولكن لويد منعني.

ودهشت دافينا عندما سمعتها تقول لها ذلك، لدرجة انها فكرت بأن السيدة باري كانت تحاول اثارتها وتكرزتها بحضور زوجة لويد الجديدة.

عادت السيدة باري وسألتها:

- كيف كان شعورك الليلة الماضية؟ هل نعمت بنوم هادىء!

- نعم، شكراً.

في هذه الاثناء، انتهت الآنسة ريانون من ربط آخر اكياس الوجبات الجاهزة، فالتفتت الى والدتها وودعتها وخرجت، متجاهلة وجود دافينا.

عندها راحت السيدة باري تحدث دافينا عن النشاط الذي شهده الفندق هذا الاسبوع بفضل تدفق الزوار على المنطقة بأعداد لم تعهدها من قبل. ثم سألتها عما اذا كانت تريد الخروج مع بعضهم لقاء بعض الوقت والتمتع بمشاهدة بعض الاماكن الطبيعية الفاتنة.

تأملتها دافينا، ثم ردّت عليها قائلة:

- لا، شكراً. انني افكر بالعودة الى لندن غداً. في أي حال، خروجي لا يفيد اذ انني لم اتعلم ركوب الخيل، فضلا عن كوني لا أملك الملابس أو الادوات اللازمة لممارسة هذه الهواية..

- لا بأس! ريانون عندها مجموعة كبيرة منها ولا أظنها سترفض ان تعيرك كل ما يلزم، اذا قررت الخروج.

- ليس اليوم، شكراً.

- كما تريدين.

قالت السيدة باري وهي تتابع وضع الطعام على المائدة، وعندما انتهت جلست الى المائدة قبالة دافينا، ثم تابعت حديثها قائلة:

- ركوب الخيل رياضة مفيدة وممتعة.

وصمتت لحظة تابعت بعدها تقول:

- الشاي اليوم أطيب شاي تذوقته في حياتي. أرجو أن لا تكون الحركة الناشطة في الفندق ضايقتك. صحيح ان الفندق يعج بالنزلاء هذه الايام، وان وجودهم بهذه الأعداد الكبيرة يبعث الحياة فيه وينشط الحركة في المنطقة، ولكن الصحيح ايضاً انه لا يمكن الاستغناء عن الهدوء والسكون احياناً.

وتوقفت عن الحديث وهي تتأملها كأنما تحاول ان تعطيها فرصة لمشاركتها في الحديث، وعندما خاب ظنها، تابعت تسألها قائلة:

- ماذا تنوين عمله اليوم؟

لم ترد لأنها كانت غارقة في التفكير بالمواضيع التي ستبحثها مع لويد، ساعة يلتقيان مجدداً، براودها الأمل بأن الأمور ستجري حسبما تشتهي، بعد ان اقتنعت، أو انها تحاول الاقتناع بأن لويد يريد هو ايضاً الاسراع في حل كافة الامور العالقة بينهما، كي ينصرف الى ترتيب اموره واحواله المستقبلية.

وفيما كانت غارقة في تفكيرها اذا بلويد يطل عليها فجأة، وهو يبتسم لها ابتسامة باهتة. ثم صب لنفسه بعض الشاي في الفنجان وهو يخاطبها قائلاً:

- سوف اخرج بعد قليل لانجاز بعض الاشغال. تعالي معي اذا كنت تبحثين عن المتعة بين احضان الطبيعة، وتصرفي كما لو كنت سائحة. ما قولك!

ترددت ثم فكرت بأن الحكمة تقتضي قبول دعوته، وهكذا كان.

وجدت دافينا لويد بانتظارها في الطابق الارضي عندما عادت للخروج معه. ويبدو أن ثيابها لم تعجبه، فبادرها قائلاً بلهجة مقرونة بالحدة:

- أليس عندك ثياب أجمل من هذه الثياب؟

- كلا، ليس عندي شيء أجمل من الشال الذي كنت ارتديه مساء أمس. لم أحمل معي سوى القليل القليل من ثيابي اذ كانت رحلتي

ليوم واحد. وكان الطقس دافئاً.

- كان... الطقس سريع التقلب هنا.

قال ذلك وتركها ليعود بعد برهة قصيرة حاملا بيده فستاناً من الصوف، وناولها اياه وهو يقول:

- قد لا يعجبك كثيراً... هذا الموجود. المهم ان تحتاطي من البرد.

قال ذلك وراح يتأملها وهي ترتديه، وعندما انتهت حثها على المشي بقوله:

- هيا بنا!

ثم تطلع الى قدميها وتابع قائلا:

- ارجو ان يكون كعبا حذائك عاليان كفاية لوقاية قدميك من الوحل والحجارة.

كان الطقس ممطراً، والهواء بارداً، عندما سارا في اتجاه سيارته الواقفة في باحة الفندق الامامية. وسرعان ما بدأت دافينا تفكر، ربما بتأثير شعورها بالرد، بانه كان عليها ان ترفض دعوته، وتبقى في الفندق. ليس هذا فقط، بل راودها الندم على اضاعة فرصة ذهبية سنحت امامها، كي تجابهه بالرفض ولو مرة واحدة في حياتها، فيفهم بأنها لم تعد تلك الاداة الطيعة بين يديه ليلهو بها، او يعبث بها، ساعة وكيفما يشاء. ولكن، ماذا يفيد الندم بعد فوات الاوان؟ وهل بالامكان اعادة عقارب الساعة الى الوراء؟ أبداً. يبقى عليها ان تضع امام عينيها المهمة التي قررت تنفيذها، وتتجنب الوقوع في الخطأ الذي غالباً ما يكون ثمنه غالياً.

بعد أن سار لويد بضع خطوات، أسرع خطاه، فاضطرت دافينا الى تسريع خطاها بغية اللحاق به، لغاية ان وصلا الى السيارة وصعدا اليها.

جلست بجانبه في المقعد الامامي، ثم بدأت تشد حزام السلامة حول خصرها، عملا بنصيحته، حتى اذا انتهت، التفت اليها وقال

بلهجة ساخرة:

- اخيرا بدأت تتعلمين كيف تكوني حذرة! صدقيني بأنه خير للمرء ان يتعلم متأخراً من ان لا يتعلم ابدا. ومع ذلك يؤسفني القول بأننا تركنا الوقت يمر علينا بدون ان نتعلم شيئاً.

- اي وقت؟ الوقت الذي سبق مجيئي هنا أم ذاك الذي سبق زواجنا؟

لم يلتفت اليها، واكتفى بهز كتفيه استخفافاً وهو يقول:

- لا فرق.

الملفت للنظر هو ان دافينا بدأت تشعر بالارتياح، بالرغم من اصرار لويد على قيادة السيارة بسرعة جنونية، وغزارة المطر، وشدة الريح، وسوء الرؤية بسبب كثافة الضباب، وضيق الطرقات. وكثرة المنعطفات الخطيرة، وهدير الرعد ولمعان البرق.

مرّ حتى الآن بعدة طرق جانبية وفرعية، بدون ان يتوقف عند واحدة منها، او ان يقول لها الى أين تؤدي هذه الطريق أو تلك. وهكذا ظل مندفعاً بسيارته حتى وصل الى طريق جانبية تؤدي الى الجبال، أثارت في نفسه بعض الذكريات، فانتهزها فرصة ليقول لها بدون ان ينعطف نحوها:

- كان في نيتي أن آخذك الى الجبال من هذه الطريق لولا سوء الاحوال الجوية. لا بأس. سنخرج لزيارتها عندما يتحسن الطقس...

وقاطعته دافينا لتعلق على ذلك وتقول بدهشة:

- هل تظنني باقية هنا الى الابد!

فرّد يقول وعلى فمه ابتسامة فاترة:

- اعتقد بأنك باقية بحكم الضرورة! هكذا اتفقنا أمس، هل نسيت؟

- كلا لم أنس. ولكنه لم يخطر في بالي بأن اقامتي هنا ستمتد كما تظن.

- هذا شأنك! وليس لك ان تلوميني على تصوراتك الخيالية وتصرفاتك الخاطئة.

- هكذا!

- نعم، بل وأكثر من ذلك.

- هل انت جاد في ما تقوله؟

- طبعاً.

- يبدو لي انك تحاول التملص من مسؤوليتك تجاهي!

- مسؤولية! مسؤوليتي أنا... أنا تجاهك! لا أظنني قد ألزمت نفسي بأية مسؤولية تجاهك.

- أجل، هل نسيت حديثنا أمس؟

- كلا، لم أنس. سوف أردّ على جميع اقتراحاتك وعروضك في الوقت الذي يناسبني.

- وماذا عن الموضوع الآخر!

- أي موضوع؟ لا اذكر أننا تباحثنا بشأن أي موضوع من نوع آخر. لست أفهم. أرجوك ان تكوني اكثر صراحة.

- موضوع الطلاق، نسيته! حسبتك تفكر على الطلاق، ونمت على هذا الاساس.

- الشيء الوحيد الذي نمت عليه ليلة البارحة كان سريري العتيق الذي أثار في ذهني ذكريات ماضية لا تختلف ابداً عن الذكريات التي عشتها البارحة، اذ كنت نائماً على بعد بضعة امتار من غرفة نومك، تماماً كما نمت في تلك الليلة التي سافرت بعدها الى اميركا. يا لها من ذكريات طالما راودت خيالي...

فقاطعته لتقول له وهي ترتعش:

- عسى أن تكون وطأتها عليك أدهى من الكابوس.

تطلع عليها بطرف عينيه، وهو يهز رأسه كمن يتوعد ويتهدد من طرف خفي، ثم رد عليها قائلاً بلهجة تنطوي على الوعيد:

- زلة لسان اخرى من هذا النوع، أو غلطة واحدة أخرى، يا

زوجتي الجميلة، وأرميك أرضا من السيارة، وأتابع طريقي وأتركك تعودين مشيا اذا شئت.

قال ذلك وصمت لمعرفة رد فعلها. ولكنها بقيت صامتة وبدون أن تلتفت اليه، خشية التورط في أمور لا تحمد عقباها. غير أن لويد عاد وتابع حديثه قائلا:

- كانت هناك اسباب قوية منعتني من ايقاظك صباح ذلك اليوم الذي سافرت فيه الى الولايات المتحدة. ومع ذلك، اتصلت بك هاتفيا من المطار فلم ألق جوابا. اين كنت وقتها! اين ذهبت؟ لا شك في انك توجهت الى بيت والدتك كي تريها اثار اللكمات الباقية على جسمك، أليس كذلك؟

لم تستطع دافينا السيطرة على اعصابها من شدة الحيرة التي غمرتها بعد ان صدمتها الحقائق التي كان يبسطها امامها، بدون لف ولا دوران.

والحقيقة ان الاثنين حاولا، في صبيحة ذلك اليوم، عمل شيء ما لاعادة الامور الى نصابها. لويد كان صادقا مع نفسه عندما اخبرها بانه اتصل بها هاتفياً بعد ان اصبح في المطار. كذلك دافينا كانت صادقة في الكشف له عن ذهابها لزيارة والدتها. ولكنها توجهت الى بيت والدتها من المطار، وليس من المنزل، بعد ان فشلت في اللحاق به قبل ان يصعد الى الطائرة. كما حاولت ان تسافر على متن طائرة اخرى للالتحاق به. غير ان الامور جرت عكس ما كانت تشتهي، اذ فوجئت بمشاهدة طبيب والدتها يبحث عنها وبخادمة والدتها وهي تبكي وتنوح وترجوها لالغاء سفرها والعودة معها للاعتناء بوالدتها المريضة.

كان لويد يجهل هذه الامور. وشاءت دافينا ألاّ تطلعه عليها نظرا للكره الذي كان يغشى العلاقات بين لويد ووالدتها، هذا الكره الذي كان يتفاقم مع مرور الزمن، ويهدد بالتالي مستقبلها وحياتها الزوجية، مع ما يتخلل ذلك من ألم وأسى بسبب معاملة لويد القاسية

لها نكاية بوالدتها، وامعان والدتها في دفعها الى الطلاق نكاية بلويد.

كما الوالدة، كذلك لويد الذي تمادى في تصرفاته غير المعقولة نحوها لدرجة اصبحت عندها تفكر بأن الطلاق أهون الشرين. وما مجيئها الى هذه المنطقة، وتكبدها مشقات السفر، إلاّ طمعاً باقناع لويد بالموافقة على الطلاق.

احتارت دافينا، خلال ذلك الصمت الطويل، وهي تفكر بما كان يدفعه دائماً الى مهاجمة والدتها واتهامها بشتى التهم، ثم قطعت حبل الصمت بقولها له رداً على تلميحاته الاخيرة:

ـ ماذا كنت تتوقع مني ان افعل؟ هل كنت تريدني ان احبس نفسي في البيت كما النساك لغاية أن تتنازل وتفكر بالعودة؟

ـ لا، ابداً. ثم، انا اعرف بأن زوجتي الفاضلة الوفية كانت تشتهي عودتي اليها.

ـ ليس هذا فقط بل أيضا ليعود ويكف عن معاملتها بهمجية.

ضحك لويد طويلاً قبل ان يرد عليها قائلاً:

ـ تقولين همجية؟ اياك ان تكرري هذه الكلمة! هل تعرفين معناها؟ لا أظن انك تعرفين لو لم اكن على موعد سابق مع صديق عزيز لكنت اوقفت السيارة وشرحت لك معناها عملياً.

هنا شرعت دافينا بقرب ساعة الحساب، وفكرت بانه من الافضل لها عدم الذهاب الى ابعد من ذلك في اثارته. ثم راحت تتأمله وهي تبتسم قليلاً، ثم قالت له بلهجة ناعمة:

ـ آسفة، يا لويد. الحق معك. كان يجدر بي ألا ألجأ الى استعمال كلمات لا افهم حقيقة معانيها. انا غبية! كم كنت ساذجة عندما فكرت بأن الفرصة مناسبة للتوصل الى تفاهم فيما بيننا. كان يجب ان اصغي لصوت ضميري وأبقى بعيدة.

ـ لا تظني بأنني صدقت قولك من انك جئت بوحي ارادتك. من اقنعك بالمجيء، عمك أم محاميك اللامع الذي لا يزال يطاردني؟ من الذي اقنعك؟

ـ آه، عرفت الآن! رسائله كانت تصل اليك اذن؟

ـ نعم، كانت تصلني وكنت احرقها، الواحدة تلو الاخرى. توقعاته تعجبني لأنها كثيراً ما تتحقق. المهم، انا اكره التعامل مع اي شخص كان بواسطة فريق ثالث.

ـ الم تخبرني مساء أمس بأنك تنوي الزواج ثانية!

هنا حدق فيها طويلاً قبل ان يرد عليها رداً لا يخلو من المداعبة الثقيلة الظل قائلاً:

ـ بلى اخبرتك. ولكن نسيت ان اخبرك بأن زوجة المستقبل لا تزال صغيرة السن. وهذا ما يجعلني اتريث في الزواج منها لئلا اكرر الغلطة السابقة، وحتى تصبح هي مهيأة لمثل هذا الحدث العظيم في حياتها.

كان بودها ان تنقض عليه وتغرز أظافرها في وجهه حتى يطفر منه الدم، لكنها عادت وفكرت بأهمية الاحتفاظ بهدوء الاعصاب، خاصة في مثل هذه المواقف الحرجة، وردت قائلة بلطف:

ـ حسناً تفعل! عظيم! فكرة حكيمة. . . بل في منتهى الحكمة.

وصمتت لحظة تفكر ثم تابعت تقول:

ـ يبقى عليك ان تتأكد بأنها ترضى الانتظار مدة ثلاث سنوات ريثما استطيع انا تطليقك بدون موافقتك.

ـ قد ترضى أو لا ترضى، العلم عند الله. . . انها مغامرة، لا يخيفني الاقدام عليها. يهمني ان اؤكد لك بأنك ستكونين اول العارفين، وما عليك الا الصبر لغاية ان يصلك الخبر اليقين.

ـ شكراً! هذا من لطفك وكرم اخلاقك. والآن، أريد ان أسالك: هل تعرف بأنني لم استعد كما يجب للاقامة طويلاً في هذه الديار البعيدة عن العالم؟

ـ كلا! لا أعرف! وكيف لي أن اعرف ما دمت أجهل تماماً ما تحتويه خزانتك من ثياب، لكن هذا لا يهم. عندنا والحمد لله محلات كثيرة لبيع الملابس النسائية التي اتمنى ان تعجبك والتي تختلف

كثيراً عن الأزياء اللندنية. انحلت هذه المشكلة. ماذا بعد؟

حدقت فيه، ثم ردت قائلة:

- لا شيء، شكراً لك مرة ثانية. المهم أن وقتي لا يسمح لي أبداً للقيام بجولات على الاسواق.

- رفع لويد حاجبيه وقطبهما من الدهشة وهو يفكر بالذهاب معها في الحديث الى أبعد حد ممكن، ثم قال لها متسائلاً:

- هل ينقصك المال اللازم لشراء بعض الثياب؟ اخبريني، لا تخجلي مني، فأنا يحق لي قانونا ان ألبي جميع طلباتك. يبقى عليك ان تطلبي وعلي ان البي، ومازلت قادرا على ذلك لأنني بعيد كل البعد عن الافلاس.

هنا نفذ صبر دافينا فصرخت بوجهه قائلة:

- لا أشتهي رؤيتك أبداً

ظل لويد محافظا على اعصابه، فلم يغضب، ولم يفكر بالرد عليها من عيار الكلمات الحادة ذاتها، وانما ابتسم لها وخاطبها بمنتهى اللطف قائلاً:

- لماذا كل هذا الغضب والانفعال! اذا كنت تفكرين بأنني عرضت شراء بعض الثياب لك تمهيداً لممارسة بعض الحقوق الاخرى، فقد أخطأت الهدف. دعينا منها الآن. سوف نبحثها في وقت لاحق.

وصمت يفكر وهو يتطلع الى الجبل الراسخ أمامه، والغيوم الكثيفة التي كانت منتشرة فوقه وحواليه، ثم تابع حديثه:

- دافينا، دافينا! انظري كم هو جميل ذاك الجبل. يمكن الذهاب اليه مشيا على الاقدام. نصعد اليه، عندما يكون الجو صافياً.

كانت شوارع البلدة التي توقفا فيها تشهد حركة ناشطة جداً. الحوانيت فتحت أبوابها، والناس يتجولون في الاسواق، بعضهم يتبضع، وبعضهم يتفرج.

ما ان انتهى لويد من ايقاف سيارته في مكان آمن، حتى تناول

ورقة وكتب عليها عنوان محل لبيع الملابس النسائية يملكه احد اصدقائه، ثم اعطاها اياها وهو يلح عليها للذهاب فوراً الى المحل، واختيار الثياب التي تعجبها، بدون ان تدفع ثمنها، بعبارة اخرى، لم يكن مطلوبا منها سوى ان تقصد المحل، وتختار ما يناسبها ويعجبها من ثياب، وتمشي عائدة الى المكان الموعود.

مرت دافينا وهي ذاهبة الى السوق بصالون للزينة، فشاءت أن تقص شعرها، قبل التوجه الى محل الالبسة النسائية. وهكذا دخلت الصالون واختارت لشعرها تسريحة واسعة الانتشار في اوساط الفتيات والمراهقات.

لم يخطر ببال دافينا ان المزينة كانت ستقصر لها شعرها الى الحد الذي أظهرها بمظهر فتاة مراهقة إلا بعد ان انتهت المزينة من عملها، وأدركت هي بعد فوات الاوان خطأ ما أقدمت عليه. في اي حال، نهضت من الكرسي، ونقدت المزينة اجرتها، ووضعت في يد المساعدة اكرامية، ثم خرجت وهي محتارة، لا تدري ما اذا كانت هذه القصة ستعجب لويد ام لا. كانت تعرف، من خلال تجربتها القصيرة معه، ان الشعر الطويل يعجبه جداً، اذ كثيرا ما كان يبالغ في اعجابه بشعرها الطويل وهو يلامسه ويداعبه بانامله، لكنها لم تسمعه مرة يقول لها انه يفضل الشعر الطويل على القصير، أو الشعر القصير على الطويل. ومع ذلك، كانت تتوقع منه ردة فعل ساخطة على ما فعلته بشعرها.

وسارت في طريقها تبحث عن محل الالبسة، حتى اذا اهتدت اليه تخطته ودخلت في محل آخر بجواره، حيث اشترت بعض الملابس الثقيلة، ودفعت ثمنها من مالها الخاص، فشعرت كأن كابوساً كان يضغط عليها وانجلى.

وقفت تفكر بما عساها تفعل، اذ ان لويد فارقها بدون ان يحدد لها موعدا للتلاقي بعد شراء الملابس. وما لبثت تفكر حتى قررت ان تنتظره في مطعم قريب من المكان الذي أوقف فيه سيارته، بحيث

يسهل عليها مشاهدته عندما يعود.

وهكذا توجهت الى ذلك المطعم وطلبت لنفسها فنجاناً من القهوة.

كانت السماء صافية، واشعة الشمس قوية ولكنها كانت دافئة نوعاً ما، مما جعل دافينا تشعر ببعض الارتياح النفسي. ولولا الهواجس التي بدأت تراودها حول طبيعة رد فعل لويد على شعرها القصير، لأمكن القول بان هذه الفترة الصباحية كانت من امتع فترات حياتها. ومع ذلك، حاولت تخفيف وطأة تلك الهواجس عن كاهلها، أو بالاحرى استبعاد حصول أي رد فعل سلبي او محرج من جانبه، بعد فترة انفصالها الطويلة، غدت خلالها علاقاتها الشخصية مفككة وشبه معدومة، ان لم تكن معدومة تماماً، باستثناء ما يرد عنها في رسائل محاميها.

وبعد فترة قصيرة نادت خادم المطعم وطلبت منه ان يشتري لها نسخة من دليل المنطقة السياحي.

وذهلت عندما اكتشفت، من خلال قراءة الفصل الخاص بتاريخ هذه المنطقة، انها لم تشهد احداثاً تاريخية بارزة، منذ عدة قرون مضت حتى اليوم، او بالاحرى منذ تلك الحقبة الغابرة التي تصدى اثناءها احد الحكام المحليين لسلطة اللوردات، وتحداهم بتشكيل برلمان مستقل عن سلطتهم هناك.

ثم ألقت الكتاب جانباً لتراقب المارة علّها تلمح بينهم الرأ للويد، فخاب ظنها وراحت تمضي الوقت في التفرج على بعض اللوحات الزيتية المعلقة على الجدران، والتي كانت تضم لوحة رائعة بريشة احد مشاهير الرسامين، تعكس مناظر الجبال والوديان السحيقة القريبة منها. جعلت دافينا تبرر للويد عودته الى أرض آبائه وأجداده حيث تفاصيل الطبيعة من تلال، وروابي، وجبال، وسهول، ووديان، وأنهار، وأشجار، تتآلف وتتكاتف لتشكل معاً لوحة يعجز امهر الرسامين عن وضع مثلها. وباتت تتمنى لو تسنح لها الفرصة

لاطالة مدة بقائها في المنطقة.

وهنا بدأت تقارن بين الدهشة التي راودتها لدى رؤية تلك المناظر الطبيعية، وتلك الدهشة التي أثارها لويد في نفسها من خلال تصرفاته وانفعالاته المتقلبة وخاصة في اليوم الاول لزواجهما اذ بدأت تشعر بالفرق الشاسع الذي يفصل بينهما، وتشتهي الابتعاد عنه الى غير رجعة. ويبقى ان اهم ما استنتجته من تلك المقارنة، هو ان المشاعر العاطفية التي كانت بمثابة القاسم المشترك لحياتها الزوجية، ليست كافية كأسس للزواج واستمراريته. وبدافع هذا الاستنتاج تصورت بان زواجه الثاني قد يكون اوثق وابقى من زواجه الاول، لكونه يعرف الآنسة ريانون منذ الطفولة، بحيث نمت علاقاتهما وتطورت بصورة طبيعية، واستقرت في النهاية على أساس متين لا تزعزعه المفاجاءات مهما كانت. وقد تعزز هذا الشعور لديها عندما تذكرت بأن لويد لا يزال حتى الساعة يتجاهل الجنين الذي أجهضته أثناء وجوده في الولايات المتحدة، ولم يحاول مرة ان يفاتحها بهذا الموضوع.

من الواضح ان دافينا شديدة الحساسية ازاء تعاملها مع لويد، خاصة عندما لا تكف عن التفكير بانه سبب جميع المآسي والنكبات التي نزلت بها منذ اليوم الاول لزواجهما، وهي لا تريد ان تنسى الصدمة التي اصابتها ساعة تركها وسافر الى الولايات المتحدة.

ولكن الحقيقة يجب ان تقال، وهي ان دافينا ولويد يحبان بعضهما حباً عميقاً يفوق التصور، حباً شوهته وحطمت حلقاته، الانتقادات اللاذعة المتبادلة بينهما، مع ما يرافق ذلك من اشارات وتلميحات تهكمية غير معقولة، واتهام احدهما الآخر بخيانة العهد والامانة، الى ان وصلت الامور بينهما الى حد بات عنده كل واحد منهما يتهم الاخر باهانته وتحقيره عن سابق تصور وتصميم، ناهيك عن الحساسية المرهفة الكامنة في نفسية كل منهما، التي تستيقظ لاقل الاسباب، بعد ان تدفع العقل الى الراحة والنوم.

للدلالة على هذا الواقع المؤلم، يكفي الاستشهاد ببعض التصرفات او المواقف، من هذا الجانب او ذاك، أولا اثناء حضورهما الحفلة التي اقامها العم فيليب على شرفهما بمناسبة زواجهما، حدث ان تركت دافينا لويد وحده مع بعض المدعوين وذهبت وانضمت الى شلة اخرى من المدعوين، فاذا بلويد يغضب ويحتد رداً على ما خيل اليه بأن زوجته فعلت ذلك عمداً بقصد اهانته وتحقيره امام الحاضرين، وبوحي من والدتها التي سبق لها وأهانته ورفضت الموافقة على زواجهما، ولا تزال حتى الساعة تحاول جهدها لفسخ الزواج واعادة ابنتها الى احضانها. وبالمقابل، كانت دافينا تتصور بأن لويد باصراره على بقائها بجانبه، وعدم الابتعاد عنه إلا بموافقته، يحاول فرض ارادته وسيطرته عليها.

وكان لويد يتصور بأن دافينا لم تتزوجه إلا بدافع زحفها وراء الشهرة بعد ان يقترن اسمها باسم مؤلف لامع ومشهور من وزنه، مع توقعاتها له بأن يصل الى قمة المجد والشهرة عاجلا ام آجلا. ومن جهة ثانية كانت دافينا تتصور لويد، على اثر الفتور السريع الذي شاب علاقاتهما الزوجية، تزوجها بدافع شعوره بأنه وجد فيها ضالته المنشوده التي سترضى بغرض سلطته المطلقة عليها، والهيمنة على شخصيتها وثروتها، والتصرف حيالها كما يتصرف السيد مع عبيده.

وتجدر الاشارة الى ان لويد بدأ يكره والدة دافينا، منذ ذلك اليوم الذي أقامت فيه حفلة على شرفه، كما ذكرت في بطاقات الدعوة التي وجهتها الى العديد من اصدقائها وصديقاتها، بصفته خطيب ابنتها وزوجها المستقبلي، اذ اصيب بصدمة وهو يراقبها تتنقل بين المدعوين بدون ان تحاول مرة الاقتراب منه او مبادلته ولو كلمة عابرة معه. واعتبر تصرفاتها تلك، وتجاهلها لوجوده طعنة نجلاء أصابت كرامته في الصميم.

والحقيقة ان لويد كان صادقا في تصوراته اذ انفضح امر والدة دافينا عندما تبين بأنها اقامت تلك الحفلة، وفي نيتها ان تنال من

كرامته فيبادر اذ ذاك الى فسخ خطوبته ويصبح الزواج فكرة منسية.

وماذا كانت النتيجة ورد فعل لويد؟ النتيجة كانت ان لويد اصبح اكثر تصميماً على الزواج من دافينا، ومهما كان الثمن، خاصة بعد ان تأكد من الخطة الكامنة وراء اقامة تلك الحفلة بحجة تكريمه. وطوى فكرة الثأر منها لكرامته حتى تزوج من ابنتها، فراح يذلها، ويهينها، ويتجاهلها، لا لشيء الا نكاية بالوالدة.

هذا من جهة، ومن جهة اخرى كانت دافينا ملمة تماما بأسرار الحب المفقود بين والدتها وزوجها. كما كانت تعرف بأن لويد يقسو في معاملته نحوها ومعها نكاية بوالدتها. وكانت المسكينة تطوي احزانها وآلامها بين الضلوع. وهي تعلل الأمل بأن لويد سيعود. ويعاملها كما عهدته عندما تعرفت عليه.

إلا ان ذلك لم يمنع دافينا من لوم لويد على الامعان والاستمرار في تصرفاته القاسية نحوها، خاصة انه يعرف حق المعرفة بأنها حاولت الغاء تلك الحفلة المشؤومة بعد اكتشاف نية والدتها اكراما لخاطره. كما سبق لها ورفضت التخلي عنه والعمل بنصيحة والدتها بعدم الزواج منه، وصممت على ربط مصيرها بمصيره. لقد آن الاوان كي يقدر مواقفها النبيلة نحوه فيكف عن مضايقتها واهمالها. كفاها ما لقيته من مضايقات ونكبات.

كان الالم يعتصر قلبها كلما تصورت وتذكرت سفره الى اميركا بمفرده، وما اعقب ذلك من تصرفات قاسية.

تلك هي الاحداث التي تصورتها دافينا وهي جالسة في المطعم تنتظر عودة لويد. عادت بها الذاكرة الى كل شاردة عاشتها في الاسابيع القليلة التي اعقبت زواجها، فضلا عن الصدمة التي اصابتها عشية سفره الى اميركا، عندما حضرت لهذه المناسبة عشاء خاصا، وراحت تنتظر رجوعه الى البيت على غير طائل، اذ انه لم يعد إلا بعد ساعات طويلة من الانتظار والقلق الذي راودها حول حقيقة الاسباب التي اخرت عودته، وهي تدعو له بالعودة بالسلامة. وكم

كانت خيبة املها مؤلمة عندما راح يوبخها ويصرخ بوجهها، كمن طار صوابه، فور دخوله الى البيت، ويقول:

- لا داعي لكل هذه المجاملات الخادعة... وتقولين انتظرتك وانتظرتك... انك تقومين بواجباتك الزوجية التي تفرض عليك ان تنتظريني الى ما شاء الله... مفهوم!

والأنكى من كل ذلك انه، بدلا من الجلوس الى المائدة والبدء بتناول العشاء، طلب منها ان تنتظره ريثما يذهب ويحلق ذقنه، ويغير قميصه، وهو يدعي بأنه يفعل ذلك اكراما لها ولكي ترتاح قليلا بعد العذاب الذي تحملته في سبيل تحضير كل تلك الالوان الشهية من الطعام.

سمعت دافينا كل ذلك وصبرت، حتى اذا انتهى وجلس الى المائدة، جلست بجانبه، وراحت تصغي اليه بمنتهى السرور والبشاشة وهو يشيد بمهارتها وخبرتها في تحضير ألوان الطعام، الى ان انتهى الى القول بأن انفه سيظل يتذكر نكهتها ولسانه طعمها الى فترة طويلة من الزمن، وخاصة اثناء وجوده في اميركا.

غريب عجيب امر لويد. اذا جامل فانه يجامل الى اقصى حدود المجاملة واللياقة، واذا كابر فانه يكابر الى اقصى حدود المضايقة، لدرجة يبدو عندها كمن يضرب المثل بشذوذه عن القاعدة.

وكرّ مسلسل أحداث تلك الليلة امامها حتى وصل الى المشهد الذي يصوره يندفع بحماس منقطع النظير، بعد انتهاء العشاء، ليرفع الصحون والملاعق والسكاكين المتسخة عن المائدة وينقلها الى الحوض، ويبدأ بغسلها وهو يشيد بخبرته في هذا المجال، برغم محاولاتها الجادة والمتكررة لمنعه من القيام بعمل يدخل في صلب واجباتها الزوجية.

ولفّت الحيرة دافينا فيما كانت كل تلك الذكريات تراودها، بدون ان تتوصل الى تفسير اللغز الكامن وراء تقلبات اطواره وتصرفاته، وهي تعلل الامل بأن لا بد ان يأتي يوم يكتشف فيه قيمة تضحياتها في

سبيل ارضائه واسعاده. فيكف عن مضايقتها ويحول حياتها الى نعيم.

انتظرت وانتظرت طويلاً حتى سئمت من الانتظار. وقالت لنفسها: ما باله تأخر في العودة! في هذه الاثناء، بدأ رواد المطعم يتوافدون بأعداد كبيرة لدرجة ان كثيرين منهم اضطروا للبقاء واقفين.

وبدأت تفكر بمغادرة المطعم بعد ان فقدت الامل من انه سيوافيها الى هذا المكان، ولكنها ظلت مترددة كالغريق الذي يتمسك بأي شيء يلوح امامه لانقاذ نفسه، وكانت تنهض تارة وتعود لتجلس تارة اخرى، وكررت ذلك عدة مرات بدون ان تتمكن من تقرير ما اذا كانت ستخرج ام تبقى. ثم خرجت مسرعة الى الطريق العام.

وما ان اصبحت في الخارج واستعادت صفاء تفكيرها وسيطرتها على اعصابها حتى لطمت خدها بيدها، وراحت تحدث نفسها قائلة: آن الأوان لك يا دافينا المسكينة كي تتعلمي من التجارب المريرة التي مرت بك... وأن تفهمي بأن لويد لا يهمه سوى نفسه وتحقيق رغباته... واحذري من الوقوع في الخطأ ثانية. اياك أن تستسلمي له مهما بالغ في مجاملاته، ومداعباته، والتعبير عن مشاعره الرقيقة تجاهك... حلمك الجميل بأنه سيسعدك كان اشبه بالسراب... هدفك في الحياة شيء، وهدفه شيء آخر. اصمدي ثم اصمدي ثم اصمدي بوجه كافة المحاولات التي سيلجأ اليها، ولا تنسي استخفافاته بك، ولا اهاناته لك، ولا تخليه عنك ساعة كنت تشعرين بأمس الحاجة الى وجوده بجانبك، ليس كزوج وحبيب، وانما كمطلق صديق، كي يواسيك ويخفف عنك وطأة الالم الذي داهمك ساعة فقدت طفلك، ولو انه كان فعلا ذلك الزوج الوفي، كما يدعي، لكان عاد فور سماعه الخبر... اياك ان تنسي يا دافينا تقلباته المفاجئة، وانتقاداته التهكمية، ومضايقاته المفتعلة انه رجل بلا قلب يسعى وراء تعذيب الآخرين ويتنكر لمبادىء الحياة الكريمة.

عند هذا الحد توقفت متمنية لو انها بقيت في لندن، وتركت للمحامي متابعة القضية، مهما طال الزمن او قصر للبت فيها، اذ كان بوسعها ان تكرهه وهي بعيدة عنه اكثر مما تكرهه وهي قريبة منه.

والسؤال الآن: هل قررت قص شعرها الطويل كي تفهمه، وتبرهن له بانها اصبحت في حل من كافة الحقوق العاطفية التي كان يحاول فرضها عليها بالاكراه؟ أم ماذا كان يدور في خلدها ساعة قررت ذلك؟ ذلك لأنها هي نفسها تضايقت من منظر شعرها والملامح العجيبة التي اضفاها على وجهها عندما تأملت صورتها المنعكسة عبر زجاج واجهة أحد المحلات. وصعقت من رؤية التشويه الذي احدثه قص شعرها في جمال وجهها. ولم تستطع تجاهل حقيقة ما يثيره مشهدها في نفسية لويد من غضب بعد ان يعرف الحقيقة، وما سيتبع ذلك من محاولات لتدفع ثمن ما فعلت.

ولكنها استدركت وقالت لنفسها: ما حدث قد حدث، وما علي إلّا ان أبقى مستعدة لكافة الاحتمالات، بما فيها احتمال رفضه الطلاق، بغض النظر عن الفائدة التي يرجوها لنفسه على اثر الطلاق.

ثم فكرت بأن تشتري منديلا للرأس لتغطية شعرها به. ومع ذلك ظلت تتوقع حدوث مفاجأة ما فينكشف امرها، وتقع المعركة التي كانت تسعى جهدها لتأجيل موعدها. الشيء الوحيد الذي كان يقلقها هو ان يدعوها للخروج معه لزيارة الحصون القديمة التي تقع في منطقة ترتفع فيها درجة الحرارة اثناء النهار فتضطر الى نزع المنديل عن شعرها وتقع الواقعة، وما عدا ذلك، ليس أمامها ما تخشاه.

بعد فترة قصيرة وصلت الى مكان السيارة. لم يكن لويد هناك. ولكنها شاهدت ورقة موضوعة بمحاذاة زجاجها الامامي، فتناولتها وبدأت تقرأ مضمونها المكتوب بيد لويد: اللقاء في مطعم بلاك سوان الساعة الثانية عشرة تماماً. لويد.

وما ان انتهت من قراءة الكلمة الاخيرة حتى طار صوابها، ولم تجد

من تفش خلقها فيه، سوى تلك الورقة فمزقتها. ثم وقفت امام السيارة وهي تصرخ كأنها تخاطبه شخصياً وتقول: كفاك، يا لويد، كف عن تعذيبي... كان ذلك صوت عاطفتها، اما عقلها فقد حدثها بعدم التفكير بالتحدي، او بتقديم وقت المعركة، لئلا تذهب جهودها سدى، محذراً اياها من مغبة الذهاب لتناول طعام الغداء في غير مكان.

وهكذا عادت ادراجها من حيث أتت وهي تلعن الساعة التي قررت فيها المجيء معه. لم تهدأ اعصابها بعد، وكانت آثار الخيبة التي أصابتها من جراء استخفاف لويد بها لا تزال تتفاعل في نفسها، وتابعت طريقها علها تلتقي به صدفه وظلت تمشي وتمشي، تارة تفكر بالعودة الى السيارة وهي تتصوره هناك ينتظرها، وتارة اخرى تفكر بمتابعة الطريق علها تعثر على المكان الذي أوصاها بالذهاب اليه، وتارة اخرى تفكر باستئجار تاكسي ينقلها الى فندق بلاس غوين. مع ذلك، ظلت حائرة لا تدري ماذا عساها تفعل.

اخيرا، وصلت الى ذلك المطعم الذي استراحت فيه من قبل وفجأة شعرت بيد تشدها الى الوراء فاستدارت لتجد لويد، عيناه شاخصتان فيها ويده ما زالت متشبثة بذراعها، يخاطبها بلطف لتهدئة اعصابها التي اضطربت بفعل المفاجأة:

ـ ما قصدت ازعاجك، صدقيني بأنني قصدت فقط منعك من متابعة المشي في الاتجاه المعاكس الذي يؤدي الى مطعم بلاك سوان... هذا كل ما في الامر، آسف.

لم تخدعها مجاملته. التملق الذي اخفاه فضحته رنة صوته وانسياق كلماته. اذ كان يصعب عليها تصديق امكانية اللحاق بها انطلاقا من مسافة بعيدة، وباتت شبه مقتنعة بأنه كان يتبع اثرها ويراقبها من خلف مكان ما بالقرب من سيارته، اذ كان يعرف تماما بأنها لم تكن تبحث عنه. لكنها كتمت غيظها، وردت عليه بلهجة مماثلة قائلة:

ـ الغريب كالاعمى...

فكرت لحظة ثم تابعت تقول:
- حتى انني لا أستطيع قراءة أسماء الشوارع المكتوبة باللغة المحلية. هل يمكنك ان تتصور ذلك، يا لويد؟
تأملها بحنان وهو يعلق على حيرتها قائلا:
- مسكينة أنت، يا دافينا! من حسن حظك انني شاهدتك وأنقذتك من الضياع.
وكمن يفاجأ برد لا يتوقعه، رفعت الاغراض التي وقعت من يديها الى الارض وهي تقول غاضبة:
- كفى، يا لويد! كفاك تهكما وسخرية.
لكنه تجاهل ذلك، وجلس على حافة الرصيف يجمع الاغراض التي وقعت من يديها، وتبعثرت على الارض، وهو يزم شفتيه تأففاً بعد ان اكتشف حقيقة الاغراض التي اشترتها، ثم رفع رأسه الى فوق وخاطبها قائلا:
- اخبرني صديقي صاحب محل الالبسة النسائية أنه لم يرك، هل هذا صحيح؟
- نعم، صحيح، أنواع الملابس المعروضة في واجهة محله لم تعجبني فاشتريت ما يفي بحاجتي لمدة يوم أو يومين من محل آخر يقع بجواره.
التفت اليها وراح يتأمل المنديل الذي غطت رأسها به وهو يقلب شفتيه ويقول:
- عظيم! أكاد لا اصدق ما تراه عيناي من أنك اخذت فكرة كونك سائحة بجدية! ولم يخطر ببالي أبداً انك مولعة الى هذا الحد بالقلاع، في أي حال ذكريني كي آخذك لزيارة قلعة كينارفون ذات يوم. صدقيني بأن جمالها الطبيعي لا يوصف.
- لكنني لست متأكدة بأنني سأبقى هنا لفترة طويلة.
- آه، يؤسفني سماع ذلك. ارجو أن تؤجلي ساعة الرحيل لغاية ان نذهب ونتغدى معاً. أكاد اموت من الجوع.

قال ذلك وانطلق يمشي بخطى واسعة تاركا اياها تتبعه بخطى وئيدة ولكن متعثرة. كانت تغلي من شدة الغضب والتعب عندما لحقت به الى السيارة، لتجده ينتظرها ويأخذ منها بقية الاغراض ويضعها في صندوق السيارة، ويحثها على الاسراع معه الى المطعم.

كان الجنس الخشن يحتل جميع طاولات المطعم الموضوعة على شرفته الامامية الواسعة، يتمتعون بحرارة الشمس الدافئة، مما دفع لويد الى الدخول من صالة الفندق الرئيسية ليعبر منها الى زاوية هادئة تابعة للمطعم، فيما كانت دافينا تتلمس طريقها الى هناك بصعوبة للتعب الذي اصابها.

ولم يكادا يجلسان الى الطاولة حتى ظهر امامهما خادم المطعم وناولهما لائحة الطعام ومضى. ثم عاد بعد لحظات يسجل عنده أنواع الطعام التي اختاراها ومضى.

وانتهز لويد فترة الانتظار هذه ليداعب دافينا ويجاملها كعادته كلما وجد نفسه وحيدا معها. وكانت هي تصغي الى مجاملاته، واطراءاته، والتغني بجمالها، فتستقبل الجيد منها ببشاشة والرديء بعبوس وتحفظ، بدون ان يغيب عن بالها لحظة واحدة، ان لا يستدرجها، بمداعباته ومجاملاته، الى الاستسلام لرغباته العاطفية مهما بالغ في الوصف والاطراء.

بعد فترة قصيرة حضر الطعام، وبدأ لويد لتوه يأكل بسرعة أدهشت دافينا لدرجة جعلتها تأكل لقمة لقمة وتتريث في مضغها ليتسنى لها مراقبة لويد، موزعة نظراتها بين الصحن الموضوع امامها ولويد، الى ان انتهى وطارت مظاهر الدهشة.

التفتت اليه وهما خارجان من المطعم وسألته بصورة عفوية:

- هل نحن ذاهبان الى البيت؟

فرد عليها قائلا:

- أجل، اننا عائدان الى بلاس غوين. وتركها تستنتج المعنى من وراء الكلمات، بعد ان احمر وجهها خجلا وهي تتأمل نظراته

الغامضة.

ظلت صامتة طيلة الوقت الذي استغرقته السيارة للخروج من دوامة السير الكثيف الذي كانت تشهده شوارع البلدة في تلك الساعة. وما ان اصبحت السيارة خارج البلدة واخذت تشق طريقها في الشارع العام وسط حركة خفيفة، حتى بادرته قائلة وعيناها شاخصتان الى الامام:

- لويد، كان عليّ أن ابقى في لندن لو كنت احسنت التصرف، لكن، لا بأس سوف أضع حوائجي في حقيبتي فور وصولنا، وأتركك تعيش بسلام.

وصمتت تفكر وهي تحدق في يديها المضطربتين، ثم تابعت تقول:

- ويبقى عليك ان تبلغ العم فيليب قرارك بالنسبة الى الجولة الجديدة التي اقترحها عليك.

قالت ذلك وصمتت وهي تتأمله من طرف خفي بانتظار سماع جوابه. لكنه لم يرد، ولم يحاول الرد ولو بكلمة واحدة، بل حاول ان يبقى صامتا اكثر منه في اي وقت مضى. عندها أرخت رأسها الى المقعد، ثم اغمضت عينيها وغرقت في حلم عميق، وتنهدت بعمق وهدوء كلما تصورت مرارة الهزيمة التي جلبتها على نفسها من خلال فشلها في تحقيق أي أمر من الامور التي كانت تحلم بتحقيقها، فضلاً عن تدهور علاقاتها الى اسوأ مما كانت عليه قبل قدومها. وها هي تجد نفسها مضطرة لمغادرة هذه المنطقة، والرجوع الى لندن، اذ من المحال اقناع لويد بأي شيء مغاير لمبادئه الشخصية.

وهكذا ظلت تكبو حيناً وتصحو حيناً آخر، وتتفادى التطلع اليه. لماذا؟ من يدري، اذ تعددت الاسباب والهدف واحد. اكثر من ذلك كانت، اذا لاحظت ذراعها سيلامس ذراعه بتأثير هزات السيارة عند المنعطفات الحادة، تبتعد عنه تلقائياً تفاديا لملامسته، وهو يصبر ويتجالد حتى نفد صبره. فخاطبها بلهجة حادة وجافة قائلاً:

- اسمعيني وافهميني جيدا، لن تغادري هذا المكان إلاّ اذا سمحت لك بالذهاب. أما اذا كنت مصممة على الرحيل بدون موافقتي، فهذا شأنك ويمكنك الرحيل، لكن ذلك يعني بأنني سأظل أقاوم جميع الجهود التي تبذلينها في سبيل طلاقنا طالما بقيت حياً.

احتجت قائلة:

- هذا غير معقول، يا لويد...

وحدقت في عينيه وتابعت تقول:

- لماذ كل هذا الاصرار على تنغيص حياتي، والامعان في مضايقتي وحجز حريتي التي أحاول استعادتها بقدر ما انت تحاول، أليس كذلك؟ اطلق حريتي، يا لويد، ما بقي أمامنا امل في العودة للعيش معاً بسلام. دعني وشأني، ليس بدافع الحرص على مستقبلي وانما اكراما لعروس المستقبل، هذا اذا كنت حقا تحترمها وتفكر جديا بمستقبلها.

- لا أشك لحظة في ذلك ولا في قدرتي على اقناعها بتلبية رغباتي. اذا كنت تتصورين بأن جميع النساء مثلك فأنت على ضلال مبين. لا توجد امرأة واحدة في العالم انانية بقدر ما انت انانية، أو ان يخطر ببالها ان تلفت انظار العالم اليها كما شئت انت ان تظهري يوم زفافك.

وأطرقت رأسها الى الارض تفكر وهي تشعر كأن جسمها ينتفض ويضطرب بسبب قوة خفقات قلبها، الذي ارتفعت طاقة خفقاته وتسارعت بتأثير المعاني الغامضة التي استنتجتها من وراء كلماته، ثم رفعت رأسها وردت تقول بصوت هامس:

- الظاهر أن ثقتك بنفسك عظيمة.

- لقد أخطأت المرمى يا دافينا، فأنا لا أثق بنفسي وانما بفتاتي... عظيمة هي ثقتي بها. أنا أعتد بها كثيرا.

وردت تقول وهي تتلعثم:

- مسكينة هي... انني اشفق عليها و...

فقاطعها قائلاً:

الغامضة.

ظلت صامتة طيلة الوقت الذي استغرقته السيارة للخروج من دوامة السير الكثيف الذي كانت تشهده شوارع البلدة في تلك الساعة. وما ان اصبحت السيارة خارج البلدة واخذت تشق طريقها في الشارع العام وسط حركة خفيفة، حتى بادرته قائلة وعيناها شاخصتان الى الامام:

- لويد، كان عليّ أن ابقى في لندن لو كنت احسنت التصرف، لكن، لا بأس سوف أضع حوائجي في حقيبتي فور وصولنا، وأتركك تعيش بسلام.

وصمتت تفكر وهي تحدق في يديها المضطربتين، ثم تابعت تقول:

- ويبقى عليك ان تبلغ العم فيليب قرارك بالنسبة الى الجولة الجديدة التي اقترحها عليك.

قالت ذلك وصمتت وهي تتأمله من طرف خفي بانتظار سماع جوابه. لكنه لم يرد، ولم يحاول الرد ولو بكلمة واحدة، بل حاول ان يبقى صامتا اكثر منه في اي وقت مضى. عندها أرخت رأسها الى المقعد، ثم اغمضت عينيها وغرقت في حلم عميق، وتنهدت بعمق وهدوء كلما تصورت مرارة الهزيمة التي جلبتها على نفسها من خلال فشلها في تحقيق أي أمر من الامور التي كانت تحلم بتحقيقها، فضلاً عن تدهور علاقاتها الى اسوأ مما كانت عليه قبل قدومها. وها هي تجد نفسها مضطرة لمغادرة هذه المنطقة، والرجوع الى لندن، اذ من المحال اقناع لويد بأي شيء مغاير لمبادئه الشخصية.

وهكذا ظلت تكبو حيناً وتصحو حيناً آخر، وتتفادى التطلع اليه. لماذا؟ من يدري، اذ تعددت الأسباب والهدف واحد. اكثر من ذلك كانت، اذا لاحظت ذراعها سيلامس ذراعه بتأثير هزات السيارة عند المنعطفات الحادة، تبتعد عنه تلقائياً تفاديا لملامسته، وهو يصبر ويتجالد حتى نفد صبره. فخاطبها بلهجة حادة وجافة قائلاً:

- اسمعيني وافهميني جيدا، لن تغادري هذا المكان إلاّ اذا سمحت لك بالذهاب. أما اذا كنت مصممة على الرحيل بدون موافقتي، فهذا شأنك ويمكنك الرحيل، لكن ذلك يعني بأنني سأظل أقاوم جميع الجهود التي تبذلينها في سبيل طلاقنا طالما بقيت حياً.

احتجت قائلة:

- هذا غير معقول، يا لويد...

وحدقت في عينيه وتابعت تقول:

- لماذ كل هذا الاصرار على تنغيص حياتي، والامعان في مضايقتي وحجز حريتي التي أحاول استعادتها بقدر ما انت تحاول، أليس كذلك؟ اطلق حريتي، يا لويد، ما بقي أمامنا امل في العودة للعيش معاً بسلام. دعني وشأني، ليس بدافع الحرص على مستقبلي وانما اكراما لعروس المستقبل، هذا اذا كنت حقا تحترمها وتفكر جديا بمستقبلها.

- لا أشك لحظة في ذلك ولا في قدرتي على اقناعها بتلبية رغباتي. اذا كنت تتصورين بأن جميع النساء مثلك فأنت على ضلال مبين. لا توجد امرأة واحدة في العالم انانية بقدر ما انت انانية، أو ان يخطر ببالها ان تلفت انظار العالم اليها كما شئت انت ان تظهري يوم زفافك.

وأطرقت رأسها الى الارض تفكر وهي تشعر كأن جسمها ينتفض ويضطرب بسبب قوة خفقات قلبها، الذي ارتفعت طاقة خفقاته وتسارعت بتأثير المعاني الغامضة التي استنتجتها من وراء كلماته، ثم رفعت رأسها وردت تقول بصوت هامس:

- الظاهر أن ثقتك بنفسك عظيمة.

- لقد أخطأت المرمى يا دافينا، فأنا لا أثق بنفسي وانما بفتاتي... عظيمة هي ثقتي بها. أنا أعتد بها كثيرا.

وردت تقول وهي تتلعثم:

- مسكينة هي... انني اشفق عليها و...

فقاطعها قائلاً:

- انها لا تحتاج الى شفقتك وعطفك. ثم القى عليها نظرة خاطفة وتابع يقول: انني عازم على تكريس حياتي كلها، بل كل لحظة من حياتي، في سبيل سعادتها.

وفجأة برزت صورة الآنسة ريانون في مخيلتها، وصارت تتصورها بمظاهر شتى. تصورتها واقفة امامها تتحداها وهي تبتسم ابتسامة غامضة، ثم تصورت ملامح الغيرة القاتلة على وجهها، الا ان تلك التخيلات لم تؤثر في عزمها وصمودها، فتأملته وهي ترد عليه بلهجة وكلمات عبرت عن ارادتها في مواجهة التحدي حتى النهاية:

- انا أشك كثيرا في انك تدرك ما تعنيه السعادة او طبيعة الأمور التي تشعر المرأة بالسعادة، والدليل على فشلك الذريع في هذا المجال لا يحتاج الى أي برهان.

بدأ لويد يتحفها بنظراته الصاعقة قبل ان تصل الى نهاية جوابها، تلك النظرات التي استشفت من لمعانها حدة الغضب المتأجج في ذاته والتي أثارت فيها رعشات باردة من شدة الخوف الذي بدأ يسيطر عليها، خاصة عندما أيقنت انه صار يخفف السرعة استعدادا لايقاف السيارة الى جانب الطريق.

وهكذا تحقق الاسوأ الذي كانت تخشى حدوثه، وتعمل كل ما في وسعها لأبعاد كأسه المرة عن شفتيها، حدث وكان لها الفضل الاكبر في تسريعه، من حيث كانت تدري أو لا تدري. ووقعت الواقعة، وحصلت بنتيجتها على حصة الاسد. اذ انه، ما ان اوقف سيارته بجانب الطريق، حتى ترجل منها وركض مسرعا حول مقدمة السيارة، ثم انعطف قليلا الى اليمين، وضغط على مسكة الباب فانفتح بسهولة، وشدها بيده الى الخارج، ليبدأ معها معركة حامية الوطيس استعمل فيها مختلف انواع الاسلحة البيضاء، انتهت بانتصاره عليها انتصاراً باهراً وكان له تأثيراً كبيرا على مجريات الاحداث اللاحقة.

ولكن بهجة انتصاره لم تدم طويلاً، اذ انها تلاشت في اللحظة التي

طار فيها المنديل عن رأسها وبان له ما فعلت بشعرها الطويل، فاحتد ونظر اليها وهو يقول:

- من يصمم على الانتقام لا يخاف. انت حقا جبانة، والا ما كنت غطيت شعرك بالمنديل بعد تقصيره... ظاهرك امرأة بكل معنى الكلمة ولكنه يخفي وراءه كتلة من الحقد والضغينة... آه، كم كنت مخدوعاً!

- لا يحق لك ان تنتقدني، اذ ان شعري هو ملكي وانا حرة للتصرف به كيفما اشاء...

خاطبته بهذه اللهجة الجريئة لتغطية ضعفها امامه، وصمتت لحظة تفكر بضرورة مواجهة تحديه لها بتحد مماثل، ان لم يكن اعنف، ثم تابعت تقول:

- يجب ان تعرف يا لويد انني لست ملكك!

فقاطعها ليرد عليها بحدة قائلا:

- لست ملكي؟ ملك من انت اذن؟ ترى، ماذا كنت تفكرين نفسك فاعلة ساعة عقد زواجنا! توقيع وثيقة قرض قصير الاجل؟ ام ماذا؟ شكراً، انا لست في حاجة لقرض من هذا النوع.

- تأكدت من نواياك هذه نحوي منذ زمن طويل... والآن، هل لك ان تتابع السير وتوصلني الى الفندق. لقد قررت الرحيل وعدم البقاء لحظة واحدة تحت سقف بيتك.

- حسناً، يجب ان تفهمي بأنه لا يمكنك الاعتماد عليّ، يا زوجتي الحبيبة، لأن معركتي معك لم تنته بعد.

- ما فعلته بي قبل لحظات كان اعنف من معركة، وها هي آثارها واضحة امام عينيك. تباً لك، يا لويد! آن لك الاوان لكي تخجل من نفسك بعد كل الذي فعلته بي حتى الآن.

لم يرد، ولكنه مد يده نحوها يحاول مداعبتها فتملصت منه واستدارت مسرعة لتعود الى مكانها في السيارة لمتابعة الطريق.

حالما أدار السيارة وانطلق بها على الطريق العام راود دافينا شعور

باليأس والقرف من متابعة الحديث والنقاش معه، على غير طائل، أسندت على أثره رأسها الى مقعدها تنشد راحة الفكر والقلب في آن معاً، وهي تشعر بالبرد بالرغم من حدة اشعة الشمس الساطعة على السيارة. وبعد مسافة قصيرة بدأت تفكر بما ينبغي عليها عمله لدى وصولها الى بلاس غوين، يراودها شعور بأن عمة لويد ستوفر لها الحماية والاطمئنان هناك بغض النظر عما ينوي فعله. مفاتيح سيارتها كانت في حقيبتها اليدوية، مما يسهل لها عملية نقل حوائجها ووضعها في صندوقها الخلفي، والتسلل اليها في الوقت المناسب بدون ان يراها احد، ولسان حالها يقول: سوف اتصرف كاللص الذي لا يعرف احد متى يقتحم البيت.

ثم حاولت ان تكبح جماح انفعالها، وتتجاهل المرارة التي كانت تحز في نفسها بسبب شعورها بالفشل. وتساءلت يائسة: ترى، ما هي تلك القوة الساحرة التي كانت تمكنه من السيطرة على كافة مشاعري بحيث كنت أنصاع لتلبية رغباته وطلباته مثلما تنصاع الافعى لانغام مزمار الغاوي!

أما اليوم فلا. انها لن تنصاع له بعد اليوم، ولن تلبي له طلب. ما من قوة على الارض ستكون قادرة على ارغامها للانصياع لمشيئته. فقد صممت على قهره واغضابه. ذلك ما كان يراودها من افكار، وما كانت تعد نفسها بتنفيذه، بدون ان تكون صريحة مع نفسها، ان ما كانت تعد نفسها به، لا يعدو كونه وجها واحدا من وجوه الحقيقة.

أجل، لقد تجاهلت، او بالاحرى تناست، ان تحدث نفسها عن الوجه الآخر للحقيقة، ذلك الوجه الذي يحكي حكاية ضعفها وسهولة انقيادها لرغباته ساعة يشاء. والشواهد على ذلك كثيرة، اكثر من أن تحصى وتعد. يكفي التذكير بموقف واحد من مواقف التحدي الذي لوحت بالتزامه مرة للدلالة على سرعة تقهقرها واستسلامها امامه. خلاصة ذلك ان لويد احتج مرة بشدة على تقصير شعرها بدون استشارته وموافقته، فغضبت، وثارت وهددته بالويل

والثبور وعظائم الامور ان هو حاول التدخل مرة اخرى في ما لا يعنيه. وجاءها رد فعله على ذلك اعنف واسرع مما كانت تتصور، اذ حشرها في زاوية ضيقة وأشبعها من مجاملاته، لدرجة انها شعرت نفسها اكثر طواعية بين يديه، من تلك النعجة التي تقع فريسة بين انياب الذئب.

وهكذا، ما ان اصبحت السيارة على مسافة قريبة من الفندق حتى بدأت تنتفض وترتعش من فرط الرعب الذي داهمها، وقالت لنفسها: ليس امامك إلا الهرب وسيلة للانقاذ... وخير البر عاجله.

حالما توقفت السيارة في ساحة الفندق الامامية، قفزت منها بسرعة بدون ان تلتفت اليه، او تتفوه بكلمة، وبادرت الى وضع حوائجها في صندوق سيارتها، وهي تعد نفسها للهرب فيها بعد ان تأكدت من وجود كمية كافية من البنزين لايصالها الى الوجهة التي تقصدها.

ثم اخذت طريقها نحو الفندق، بدون ان تلتفت الى الوراء لرؤية ما اذا كان يتبعها ام لا، لئلا تثير الشكوك في نفسه حول نواياها وخططها القادمة.

عمة لويد التقتها في الصالون، فابتسمت لها ابتسامة عريضة وبادرتها بالقول:

- الحمد لله على السلامة. أين لويد؟ هل عاد معك؟ هناك من ينتظره على الهاتف.

- لن يتأخر، لحظة ويصل.

قالت ذلك وأخذت طريقها الى غرفتها في الطابق العلوي، حيث راحت تضع ثيابها واغراضها في الحقيبة بسرعة، وبصورة عشوائية، كخطوة اولى استعداداً للهرب. ثم فتحت الباب قليلا وبكل هدوء، وخرجت منه تسير على اخمصي قدميها حتى وصلت الى مطلع الدرج ووقفت هناك تراقب وتتطلع لمعرفة ما اذا كان هناك من يراقبها. لم ترى احدا، وانما سمعت صوت لويد وهو يتحدث على الهاتف بلهجة

عالية، فلوحت بيدها اشارة الانتصار، اذ تصورت بأن المكالمة خارجية، فهبطت الى الطابق الارضي وأخذت طريقها الى الخارج مروراً بالصالون، بدون ان يلمحها احد.

ومن هناك ركضت نحو سيارتها وهي تبحث عن مفاتيح السيارة في حقيبتها، فوصلتها بعد لحظات قليلة وفتحت الباب وصعدت اليها، بدون ان تكف عن المراقبة.

بيد ان فرحتها تلاشت بسرعة، وذلك لأن السيارة لم تشتغل، برغم محاولاتها المتكررة لتشغيلها. فقد ظل المحرك يشهق ويشحط ثم يخرس، عشرات المرات. ثم ترجلت منها ورفعت غطاء المحرك وراحت تتأمله وتتفحصه علها تكتشف علة توقفه عن الحركة، فلم تنجح. فتنهدت وتأوهت وهي تصعد ثانية الى السيارة لتحاول تشغيلها من جديد. لكنها عبثاً حاولت. اخيرا فكرت بان تفحص البطارية من خلال المؤشر الداخلي، البطارية كانت السبب، كما اشار المؤشر. وتساءلت قائلة: كيف يعقل ان تفرغ شحنة البطارية والسيارة لا تزال متوقفة هنا منذ يومين؟ كلا! أبداً. هذا غير معقول، اللهم إلا اذا عبث بها انسان ما.

وفيما كانت غارقة في تفكيرها تبحث عن مخرج من هذا المأزق، تناهى الى مسامعها صوت وحركة، فالتفتت حولها لترى لويد واقفاً على بعد بضعة امتار منها، يراقبها وهو يبتسم ابتسامة فاترة، ثم اقترب منها وسألها:

ـ أي مشكلة! أي خدمة! هل تسمحين لي بمساعدتك؟

قال ذلك وصمت وهو يبتسم ابتسامة باردة أما دافنيا فقد ظلت صامتة، تحدق فيه، وتفكر بهذا المقلب الذي لا يستبعد ابدا ان يكون هو مهندسه ومنفذه، ثم رفعت رأسها اليه وردت تقول له بحدة وغضب:

ـ ابعد عني. . . واذهب الى. . .

ـ سبق لي وذهبت. . . أنسيت انني كنت هناك! عندما اذهب المرة

القادمة سآخذك معي، استبشري خيراً واستعدي للسفر منذ الآن؟

ثم استدار واسرع الخطى نحو سيارته، فصعد اليها وانطلق بها في الطريق العام، تاركاً دافنيا واقفة وحدها، تراقبه بوجوم وكآبة وحسرة، الى ان غابت السيارة عن انظارها.

٥ - جمر تحت الرماد

المشكلة الجديدة التي برزت بوجه دافنيا الآن مصدرها سيارتها، اذ تعطلت عن الحركة وهي واقفة في مكانها، بدون سبب. وخالجها شعور بأن هذا اليوم سيكون اشقى واتعس يوم في حياتها.

حاولت اصلاح الخلل لكنها عجزت عن اكتشاف العلة لترى ما اذا كانت تستطيع اصلاحها. فذهبت واتصلت بأحد الكراجات وطلبت من المتحدث معها ان يوافيها بأحد العمال لفحص سيارتها. لكن المتحدث اخبرها بأنه لا يستطيع تلبية طلبها اليوم بسبب ارتباطاته السابقة، وعدها بتلبية طلبها بعد يومين اذا شاءت ان تنتظر. وقبل ان ينهي الحديث اوعز اليها للاتصال بصاحب الفندق الذي تقيم فيه عله يستطيع مساعدتها نظراً لخبرته في ميكانيك السيارات. ودهشت عندما سمعته يذكر اسم لويد، مما اثار في نفسها الشكوك حول علاقة لويد بهذا العطل المفاجىء.

وفي اي حال، فانها شكرته على هذه البادرة، ثم فكرت ان تتصل بوالدتها الموجودة في لندن لتستشيرها في الموضوع، وتسألها عما اذا كانت تستطيع مساعدتها. فلم تجدها.

وهكذا عادت الى الصالون وهي تفكر يائسة بما عساها تفعل للخروج من هذا المأزق الجديد، الذي سيفرض عليها البقاء داخل الفندق الى ان يتم اصلاح العطل، شاءت ذلك ام ابت. لم يكن امامها اي خيار اخر لاستحالة استئجار سيارة اجرة في مثل هذه الأيام

الحافلة بالنشاط السياحي.

مضى عليها بعض الوقت وهي جالسة في الصالون تفكر، وتتنهد، وتتأوه، وتضرب كفاً بكف، وتندب حظها التعيس، بدون ان تعفي نفسها من مسؤولية بعض ما كانت تواجهه من المتاعب، وبدون ان تسقط من حسابها امكانية تورط لويد في تعطيل السيارة على اثر تهديداته السابقة بالانتقام منها، وبأي ثمن، لتعود بعد ان تهدأ اعصابها، وتفكر ببراءته، في ضوء التهديدات العديدة السابقة التي بقيت بدون تنفيذ، لتعود من جديد وتنحي باللائمة عن كل المشاكل التي تحدث بينهما وتعقد حياتها، على نفسها وعلى لويد، سواء بسواء. ولكن، ماذا ينفع الندم الآن! وانتهت الى التفكير بأن عليها، ما دامت هنا، متابعة مهمتها بعيداً عن كل ما يثير مشاعر وحساسية لويد، اذا كانت تنوي فعلاً التوصل الى تسوية ودية للمشاكل العالقة بينهما.

وقفت حائرة بعد ان سدت بوجهها جميع الابواب. التوصل الى اتفاق مع لويد حول الطلاق لم يزل بعيد المنال، ان لم يكن مستحيلاً، كما اثبتت لها الاحداث الجارية، وسيارتها تعطلت فجأة وعطلت معها خطة هربها من هذا المكان والعودة الى لندن. فماذا تفعل؟ لا شيء. لم يكن بامكانها ان تفعل شيئاً، سوى ان تصبر حتى يأتيها الفرج من وراء المجهول.

ثم فكرت بأن تخرج وتمضي بعض الوقت بين احضان الطبيعة، بعيداً عن اشباح المشاكل والمتاعب التي تطاردها حيثما كانت. وفيما كانت تهم بالخروج رأتها عمة لويد وبادرتها قائلة بدهشة:

- آه، هذه انت يا دافنيا! اين لويد؟ اين يمكن ان اجده لأعطيه بعض الرسائل التي وصلته الآن؟ هل...

فقاطعتها دافنيا وردت عليها بلهجة حادة:

- لماذا تسأليني انا؟ هل تظنين بانني امينة سره! لا اعرف مكانه ولا اين ذهب...

وصمتت لحظة بعد ان ندمت على مخاطبة السيدة باري بلهجة جافة لا يليق بها ان تستعملها معها نظراً لما تلقاه منها من تكريم وحفاوة، فاستدركت قائلة لها:

- عفوك يا عمتي العزيزة، لقد اخطأت بحقك! الحقيقة ان لويد يتجاهلني ويخفي عني كل ما يتعلق بشؤونه، لدرجة انه لا يحييني عندما نلتقي وجهاً لوجه.

- لا بأس، انا اقدر ظروفك. لكن تصرفاته السخيفة والامبالية تحيرني. ما كان يجب ان يشتري هذا الفندق ما دام يعرف بانه لا يستطيع البقاء فيه.

- وهذا ما يحيرني انا ايضاً. صدقيني يا عمتي بأنني لا اعرف شيئاً عن المشاريع التي يقوم بها. انا لا الومه، فهذا شأنه.

وصمتت لحظة تفكر وتتأملها برقة واحترام ثم تابعت تقول:

- الوداع الآن يا عمتي! انا ذاهبة... ذاهبة لقضاء بعض الوقت في الخارج. الى اللقاء!

كانت السماء صافية، والشمس باسطة اشعتها الدافئة على الحقول المترامية الاطراف، والجبال الخضراء العالية، عندما خرجت دافينا من الفندق، فأثارت مناظرها الحماس في نفسها لزيارتها جميعاً، والتمتع بمشاهدتها، ان سمح لها الوقت بذلك. وفي هذه اللحظات، تذكرت الاوصاف الشيقة التي سردها لها بعض السواح، عن مساقط المياه، وروعة جمالها، ونقاوة مياهها وطلاوة نغمات خريرها، فقررت الذهاب الى مكانها، كمرحلة اولى في نزهتها.

مرت وهي في طريقها الى الشلالات، بسهول وبساتين كثيرة، تغطيها شتى النباتات والمزروعات والاشجار. مناظر جميلة ساحرة، لا يباعد بين هذا المنظر وذاك سوى طريق هنا وهناك يسلكها اصحاب الحقول والبساتين للوصول الى بيوتهم الكائنة ضمن املاكهم. وفي هذه الاجواء الطبيعية الرائعة، والهادئة، والمليئة بخيرات الارض المتنوعة، تأكدت دافينا من صدق حديث العمة

باري عن المتعة الفائقة التي توفرها الطبيعة للانسان، وهو سارح او مسترخ في احضانها. فخالجها الحنين للبقاء في هذه الأجواء، لو انه يمكنها فقط التخلي عن الحياة في لندن، وهي تقارن بين محاسن الحياة الهادئة هنا ومساوىء الحياة الصاخبة هناك.

استمرت تمشي حتى وصلت الى مشارف الوادي الذي يؤدي الى تلك الصخرة المشهورة بشكلها الذي يشبه التنين. وبعد مسيرة قصيرة لاحت امامها صورة كتلة صخرية رمادية اللون، غير واضحة المعالم، فتصورت بأنه ذلك المعمل المهجور الذي يقوم لويد بتجديده وتأهيله لحياكة الصوف، والأقمشة، والبسط. وتوقفت امامه تتساءل: انا لا اصدق بان لويد، وهو الكاتب الذائع الصيت، سيضحي بمستقبله الادبي والثقافي، في سبيل احياء معمل مهجور كناية عن مجموعة انقاض. لا يعقل ان يكون جاداً فيما يقوم به او مصيباً في تفكيره بانه من خلال ترميم هكذا معمل سيحقق طموحاته التي لا تقف عند حد، ما لي وله، فهو حر وانا بصدد استعادة حريتي.

ثم تابعت طريقها تقصد الوصول الى قمة الجبل امامها. الطريق الى هناك وعرة، وتزداد وعورة وصعوبة كلما تقدمت في المشي، لدرجة انها اضطرت لنزع حذائها ومتابعة الطريق حافية القدمين. وما ان قطعت مسافة غير قصيرة حتى اصبح بامكانها ان تسمع صدى خرير تساقط المياه، خاصة بعد وصولها الى منعطف حاد يشرف على منطقة منخفضة تقع فيها بركة مياه سبق لأحدى السائحات ان حدثتها عن مياهها الباردة، ومتعة السباحة فيها، ومنها تجري المياه مناسبة بانحدارها حتى تتخطى صخرة داكنة اللون، وهي ترغو وتزبد اثناء انسيابها فوق الصخور المتشعبة.

لم تشعر دافينا بحماس اثاره في نفسها اي مشهد سابق كالحماس العارم الذي اثاره فيها منظر المياه المناسبة امامها، بصفاء يفوق صفاء المتصوفين وصخب يفوق صخب الثائرين وضوضائهم، فانطلقت

مسرعة الى هناك.

وصلت ووضعت رجليها في مياه البحيرة الضحلة القريبة من الضفة وهي مأخوذة بروعة المنظر، والقشعريرة الناعمة التي خالجتها حالما غمرت المياه ساقيها حتى الركبتين.

السكون يخيم في ارجاء المنطقة، لا يعكر صفوه سوى زقزقة عصفور، او حفيف اوراق الشجر، او قعقعة ضفدعة، او ازيز حشرة، او خرير الماء المتساقط من بين اصابع يدي دافنينا للعودة الى احضان البحيرة.

ظلت واقفة في المياه القريبة من الشاطىء، تغطس يديها فيها حيناً وتغرف المياه حيناً اخر لتبلل بها ذراعيها ورجليها كي تمنحها مناعة كافية لمقاومة برودتها، عندما تقرر السباحة فيها. كانت مصممة على السباحة في البركة، لكنها تباطأت، ريثما تتأكد تماماً من خلو المكان، اذ انها لم تحمل معها ثياب السباحة.

وما ان اطمأنت الى خلو المكان من البشر حتى عادت الى الشاطىء، حيث نزعت ثوبها ووضعته جانباً، ثم نزلت في الماء بثيابها الداخلية وبدأت تسبح، والحنين بدأ يشدها للسباحة الى موقع الشلالات، الذي كان في قمة لائحة الأماكن التي قررت مشاهدتها. وهكذا بدأت تسبح في اتجاه الشلالات، وهي تتطلع يميناً وشمالاً لتفادي الاصطدام بأي جسم غريب قد يكون تحت الماء، او الوقوع في فخ الدوامات والتيارات المائية العنيفة.

هذا وبعد ان قطعت نصف المسافة المؤدية الى مخرج جوفي لمياه البحيرة، بدأت تسمع الاصوات الغريبة الصادرة عن احتكاك الحجارة القريبة من المخرج ببعضها، او انقلابها وتدحرجها فوق بعضها البعض بتأثير قوة المياه الجارية، وتتفرج على صقر كان يحوم فوقها وهو يقوم بمناورات رائعة، اذ كان يبسط جناحيه على مداهما ويبقى ساكناً لبرهة قصيرة، او يعلو ليعود وينقض بسرعة فائقة كأنه يقوم بعملية مطاردة خاطفة. عرفت، او اقنعت نفسها بانها تعرف

مصادر كل تلك الاصوات، الا واحداً صعب عليها معرفة مصدره، وباتت تخشى من وجود مخلوق بشري يراقبها من وراء مخبأه على اليابسة. لم تكن تخشى من وقوع اعتداء عليها، وانما كانت تخجل من ان يراها احد وهي تسبح بثيابها الداخلية، اضف الى ذلك انها تعتقد بان ظهورها بمثل هذا المظهر مناقض تماماً للتقاليد التي تؤمن بها، وابرزها الظهور المحتشم امام الناس.

كان بنيتها ان تقطع الرحلة الى تلك الفجوة الصخرية وتعود الى الشاطىء لترى اين تذهب، لو لم تطمئن الى خلو المكان من اي مخلوق سواها. وقد عزز اطمئنانها هذا عودة السكون التام في اجواء المنطقة. وهكذا تابعت السباحة في اتجاه تلك الفجوة الصخرية، التي بدأت ملامحها تتوضح اكثر واكثر، كلما اقتربت منها وقصرت المسافة التي تفصلها عنها. وذهلت عندما اخذت اوصاف الفجوة تظهر مطابقة لأوصاف عرين التنين الذي حدثها عنه احد نزلاء الفندق بعد عودته من زيارة المكان. ولكن سرعان ما تبين لدافينا ان تلك الصفة، صفة «عرين التنين» لا تنطبق على الموصوف، اي الفجوة الصخرية التي اصبحت صورتها ماثلة امامها بكل وضوح، كانت واضحة بانها ليست مغارة بالمعنى الصحيح للكلمة، وانما كناية عن فجوة صخرية، مظلمة، باردة مشبعة بالرطوبة، وضيقة لدرجة يصعب عندها للطفل العبور من خلالها، بالاضافة الى شقوق متنافرة ومتباعدة، ناهيك عما تشكله طبيعة هذه الصخور الناتئة من مخاطر ومحاذير بوجه كل من يحاول السباحة اليها والتوغل في مجاهلها.

هذا ورغماً عن عدم وجود اي اثر لأي مخلوق، شعرت دافينا بحدسها بما ينبىء بوجود كائن حي بالقرب من مكانها. لم تكن تتصور اطلاقاً وجود لويد هنا، لأنها لم تخبره، كما انها لم تخبر احداً من الناس سواه، عن المكان الذي توجهت اليه. ولكن لويد، لسوء حظها، كان هناك.

وكم كانت دهشتها كبيرة عندما استدارت، بعد ان اجالت النظر

في شكل تلك الصخرة الذي يعكس فعلاً شكل تنين حقيقي لأول وهلة، لترى لويد جالساً على الصخرة التي وضعت ثيابها بجانبها. وزاد في دهشتها رؤية ثيابها تلك موضوعة امامه بشكل بارز. وتساءلت: ترى، لماذا يصر على مطاردتي كأنه هر وانا فأرة!

لكنها قامت بحركات لتوهمه بانها لم تشاهده، فتابعت سباحتها حتى وصلت الى خلف صخرة كبيرة وتوقفت هناك تعلل الأمل بانه قريبا يغادر المكان، وتدلك جسمها بيديها للمحافظة على حرارته، وتنشيط دورتها الدموية.

بعد لحظات، اختلست النظر اليه فرأته يهب واقفاً، ثم يتأمل المكان قليلاً، ويمشي حاملاً بين يديه ثوبها. فصعقت مما رأت، وخرجت من الماء وراحت تراقبه لترى اين سيذهب، وهي ترتعش من البرد والفزع.

صحيح ان اشعة الشمس اعادت الى جسمها حرارته ودفئه، ولكن ذلك لم يقلل من شعورها بالحزن والأسى مما كان يجري امام عينيها، خاصة عندما شاهدت لويد يتوارى عن الانظار، حاملاً معه ثيابها. عندها، وقفت مشدوهة لا تدري كيف تواجه هذا الموقف الخطير، وراحت تحدث نفسها: وشر البلية ما يضحك. لو انه اكتفى بأخذ الحذاء لما كان اثار بوجهي اي مأزق، اذ سابقى قادرة على العودة الى الفندق حافية القدمين. اما ان اعود وانا شبه عارية فهذا مستحيل، مستحـ ل، هذا شيء غير معقول وضرب من الجنون. وقاحة ليس بعدها وقاحة. لم يكفه ما فعله بسيارتي. ماذا يريد! ماذا يقصد! من يدري! ربما اصطحب معه بعض اصدقائه ونزلاء الفندق كي يتفرجوا علي،... يا له من ماكر ووقح!

الحل الوحيد الذي خطر ببالها للخروج من هذا المأزق الجديد، هو ان تبقى مكانها، حتى اذا صادف مرور احد نزلاء الفندق او هواة ركوب الخيل، طلبت منه ان ينقلها معه الى الفندق. الوسيلة لا تهم. وهكذا جلست على الشاطىء بانتظار حدوث شيء ما، راودتها

افكار شتى، ليس اقلها الشعور بالهزيمة، والانهيار النفسي، وما الى غير ذلك من التصورات المحطمة للاعصاب، والمسيلة للدموع. والحقيقة انها اوشكت على البكاء لولا بقية من امل، وعزيمة، رفضت ان تستسلم لليأس او ان تقع فريسة الخوف. هكذا راحت تحدث نفسها: الوقت ليس للبكاء وانما للعمل. سوف يدهشك عملي. سوف تقهرك عزيمتي. قريباً ترى ما يدهشك، قريباً وتنهار قوتك التي تظنها لا تقهر. انني اكرهك... اكرهك، اكثر مما اكره الموت.

قالت: واكرهك، يا لويد. وتوقفت لتمسح الدموع الغزيرة التي انهمرت من عينيها، هكذا، دفعة واحدة، وبرغم ارادتها، وترفع رأسها لترى لويد واقفاً امامها، يبتسم لها بخبث، ويخاطبها قائلاً:

- لماذا تبكين، يا حلوة الحلوات؟ لعلك تندبين ارادتك المحطمة، أليس كذلك؟

رفعت رأسها اليه وهي تدندن وتتمتم بعض الانغام كأنها شاءت ان توحي له بأنها صامدة كالصخر بوجه الاعاصير، لا شيء في العالم قادر على زحزحة شعرة واحدة من شعرها، ثم ردت تقول:

- ملابسي، من فضلك، اعطني اياها!

فأجابها:

- هل تريدينها حقاً! أأنت متأكدة! اكاد لا اصدق!

وهو يجول بنظرة عليها، من قمة رأسها الى قدميها، ويقلب شفتيه ويزمها تارة، ويهز رأسه، ويشير بيديه تارة اخرى، كمن يجد نفسه فجأة امام مشهد لا يعجبه، فيما حاولت هي ان تستر جسمها بستار من الأوهام، وردت قائلة:

- تأملني جيداً! تأمل ما طاب لك التأمل. انك اتخمتني بتصرفاتك الصبيانية. هيا، اعطني ملابسي وكفى.

لم يرد، وراح يحدق فيها بنظراته الباردة. بينما كانت هي تتجنب التطلع اليه، واطرقت رأسها لتلهى بالعشب النابت حولها. خافت ان تتطلع اليه، او ان تحدق في عينيه، تهرباً من الايحاءات الجامحة التي

كانت تشع منها، ومن العواقب الوخيمة المتوقعة، ان هي فعلت.
ثم التفت اليها وقال:

ـ لماذا قطعت رحلتك وعدت الى الشاطىء؟ كنت اظنك ذاهبة للعيش والبقاء في مغارة التنين الى ان تموتي من شدة البرد. ما الذي غير رأيك؟

ـ كيف عرفت! يا ليتني بقيت هناك، لكان ذلك اجدى وانفع، لك ولي.

ـ هاك ثوبك! البسيه لئلا تصابي بمرض ما وتقولي بانني السبب.

والقى بالثوب اليها. ما ان ارتدته حتى قالت له بحدة وعصبية ظاهرة:

ـ حان الوقت لنا كي نواجه الحقيقة، يا لويد. انا اعلم جيداً بأنك لن تعترف بأن لي اية حقوق زوجية. وانت ربما تعرف الآن سبب مجيئي الى هنا. جئت بدافع اقناعك بالموافقة على الطلاق وما زلت متمسكة بهذا المطلب.

ـ قبل الاجابة على سؤالك، اسمحي لي بعرض وجهة نظري حيال الموضوع اولاً.

ـ كلا، لا، لن اسمح لك بذلك، لا استطيع سماع ذلك. لويد، ارجوك يا لويد ان ترأف بي وتطوي هذا الموضوع.

ـ اجل. سوف اسمح لك بالرحيل ولكن في الوقت الذي اراه انا مناسباً، وعلى اساس شروطي انا.

صمت لحظة يفكر، ثم سألها قائلاً:

ـ على اي اساس تطالبينني بالموافقة على الطلاق؟ الأنك تلك الفتاة المدللة، وحبيبة امها، التي تتصور بأن العالم ملك يديها، وما عليها الا ان تطلب فتعطى؟ ام ماذا؟

ـ ارجوك يا لويد الا تزيد الأمور تعقيداً، ونفقد بالتالي كل شيء بعد فوات الأوان.

فهز رأسه ورد عليها ساخراً:

ـ انا شخصياً لم اعد املك شيئاً يستحق الأسف.

ـ حتى ولا ذلك الاذى الذي سيصيب الفتاة التي تنوي الزواج منها؟ الم تلاحظ كيف تنظر الي؟ اجل، انها تكرهني وتكره سماع اسمي. ارجوك ان تفكر بما سيؤول اليه مصيرها حالما تلاحظ بأن تغييراً ما طرأ على علاقاتنا. انا متأكدة بأنك ترفض حدوث شيء من هذا القبيل، اليس كذلك؟

ـ نعم ولا. اما المسؤولية فأنا لها. انا مستعد لتحمل مسؤولية اي شيء، مهما كان.

ـ ما يقال ويشاع عن انانيتك وغرورك صحيح اذن. والدليل على ذلك استمرارك في تصرفاتك الوقحة والقاسية نحوي. لا هي تغيرت ولا انت. الا ترى نفسك كيف انك تتصرف كالجلاد!

ـ كانت تعجبك تصرفاتي في الماضي، فما الذي غيّرك! حسبي وحسبك ان الثلج ذاب وظهر كل واحد منا على حقيقته.

هنا اهتاجت دافينا واغتاظت، وراحت تصرخ بوجهه، وتلوح بهذه اليد وتلك مهددة ومتوعدة ثم هاجمته وصفعته على خده الأيمن، فادار لها الايسر، فحاولت صفعه ثانية، لكنه صدها عنه، وقبض بيده على يدها لمنعها من المحاولة مرة اخرى. غير انها اعادت المحاولة فصدها عنه وكان صده عنيفاً هذه المرة، اذ اختل توازنها وكادت تقع ارضاً لو لم يمسكها قبل فوات الأوان، وهو يحذرها من مغبة اللعب بالنار.

ثم افلت يدها وتركها تسبقه في المشي امامه على الطريق وتبعها هو لغاية ان وصلا الى طرف الشارع العام، حيث استوقفها وقال:

ـ والآن، اذهبي الى الفندق وحدك، وانا سألحق بك بعد قليل. اياك ان تختبئي لأنني اعرف جميع الزوايا والخفايا.

وهكذا سلكت دافينا طريق العودة بدون ان تتجرأ على الالتفات الى الوراء ولو مرة واحدة.

وبعد فترة، وصلت الى الفندق وهي منهوكة القوى، محطمة

الاعصاب، وتوجهت لتوها الى غرفتها في الطابق الثاني، عبر الصالة الرئيسية، حيث التقت هيو مورغان، الذي بادرها القول بدهشة:
ـ يا لها من صدفة مفرحة! اعتقدت انك رحلت.
ـ ما زلت هنا! شكراً على بادرتك اللطيفة!
ـ هل تعرضت لسوء؟ هل اغضبك احد؟ اخبريني ولا تخفي عني شيئاً.
سألها ذلك بعد ان سمعها تحدثه بلهجة لا تخلو من التلعثم. ثم تابع يسألها عما فعلت بشعرها. فأجابته:
ـ قصّرته، أي اعتراض!
ـ كلا، لا ابداً! انما هذا قد لا يعجب لويد.
ـ صحيح! انا اعرف ذلك. وانت، هل تعرف بانني اصبحت منبوذة هنا! حاولت الرحيل من هنا بسلام، لكنني...
وقاطعها ليسألها:
ـ لكنك... ماذا؟ ما الخبر!
ـ سيارتي! سيارتي معطلة. ولم اجد من يصلحها سوى لويد، لكنني رفضت. هل تقدر انت؟
ـ الحقيقة انا لست ميكانيكياً ماهراً، قد يكون بامكاني مساعدتك اذا كان العطل بسيطاً كما تقولين. لحظة لأعطي السيدة باري هذه السلة واعود.
وبالفعل عاد بعد قليل، وخرج برفقة دافينا الى حيث كانت السيارة متوقفة، وبادر بفحصها على الفور. لكنه لم يوفق في معرفة العطل. وسألها:
ـ هل البطارية شغالة؟
ـ نعم. اظن بان للعطل علاقة بالمحرك. هل فحصته جيداً!
ـ فحصته حسب معرفتي، ولكنني سأفحصه ثانية.
ثم رفع الغطاء وصار يتفحصه قطعة فقطعة لغاية ان توقف عند مكان معين وراح يفحصه بمنتهى الاهتمام، ثم صرخ بأعلى صوته

قائلاً:
ـ وجدته! عرفت العطل. ذراع الحركة مفقود من محله ولا يمكن للمحرك ان يشتغل بدونه.
ـ وكيف يمكن ان يفقد!
ـ انّى لي ان اعرف!
قال ذلك وصمت يتأملها ثم تابع يقول:
ـ معك حق. انت شخص غير مرغوب فيه هنا. ولكن الشخص الذي فك الذراع من مكانها لتعطيل السيارة عن الحركة لا ينوي ترحيلك من هنا. غريب!
ـ مهما يكن، هل يمكنك ان تفعل شيئاً لتشغيل السيارة ريثما انقلها الى الكاراج.
ـ كلا، يا دافينا! آسف. هناك طريقة واحدة فقط وهي اما باعادة تركيب الذراع القديمة في مكانها او شراء ذراع جديدة وتركيبها. وما عدا ذلك يكون مضيعة للوقت.
عندما عادت دافينا الى داخل الفندق ولحق بها مورغان بعد قليل، طلبت منه ان ينقلها بسيارته الى اقرب محطة لسكك الحديد. ولكنه اعتذر عن ذلك، وبكل لباقة، حرصاً منه على عدم التدخل في الشؤون الزوجية، وتصرفاته حيالها وحيال لويد خير شاهد على صحة ما يقول.
وعذرته دافينا وقدرت موقفه لأنه قال الحقيقة. وانتهزتها فرصة لتسأله عما اذا تعرض لكلمة سوء من احد بسبب خروجه معها تلك الليلة التي امضياها معاً، وابدت له استعدادها لتفويت الفرصة على كل من تحدثه نفسه بالاساءة اليه. وكان بودها ان تستفسره عن حقيقة العلاقة القائمة بين لويد والآنسة ريانون، لكنها لم تجد الجرأة الكافية لبحث هذا الموضوع معه، لا سيما بعد ان تصورت بانه اعتذر عن مساعدتها ونقلها بسيارته الى محطة سكة الحديد، كي تبقى هنا كوسيلة للايقاع بين الآنسة ريانون ولويد.

بعد لحظات دخلت السيدة باري ودعت الجميع الى الشاي، فاعتذرت دافينا، وعادت الى غرفتها لتجد عدة رزم كبيرة موضوعة على السرير، فقالت محدثة نفسها: يا له من ماكر.. جاء في غيابي ثم اختفى.

وقفت تفكر بعمل تقوم به لقطع الوقت، فلم يخطر ببالها اي شيء. ثم قالت لنفسها: اذهبي وخذي دوشاً هذا افضل ما يمكنك عمله. وهكذا كان، فتحت الخزانة واخرجت منها بعض الثياب النظيفة، وتأملت نفسها طويلاً في المرآة كأنها ارادت ان تتأكد مما عساها تركته مضايقات لويد على جمالها من اثار مشوهة فوجدته باق على حاله من جاذبية وسحر، ثم خرجت ودخلت الحمام.

بقيت في الحمام بعض الوقت تغتسل في مياهه الساخنة، فانتعشت روحها، وهدأت اعصابها قليلاً بخلاف ما كانت تشعر به سابقاً عندما تكون مضطربة ومنفعلة بعد الحمام.

الشيء الوحيد الذي افرح قلبها هو انها بدت اصغر سناً بعد تقصير شعرها.

في هذه الاثناء بدأت تسمع اصداء احاديث نزلاء الفندق العائدين من النزهات وركوب الخيل تتردد في اجواء الحمام، مقرونة باصداء قهقهاتهم ووقع اقدامهم.

وهكذا لم تفاجأ دافينا، بعد خروجها من الحمام، وذهابها الى غرفة الطعام، برؤية الآنسة ريانون التي بادرتها بالقول حالما رأتها وهي جالسة الى المائدة:

- ماذا جرى لشعرك؟ ماذا فعلت به؟

- كما ترين. قصرته قليلاً عسى ان يعجبك شكلي الآن.

- وماذا يفيدني شكلك! الحقيقة شكلك يعجبني، ولكن وجودك هنا لا يعجبني. لا تقولي بأنك باقية هنا!

- اجل انني باقية، وهذا من سوء حظي، لأن سيارتي معطلة.

- وماذا اصاب سيارتك! باستطاعة هيو ان يصلحها. انا مستعدة

لكي اطلب منه القيام بذلك، اذا كنت لا تعارضين.

- لا شكراً، لا تتعبي نفسك. حاول ولكن محاولته ذهبت عبثاً لأن هناك قطعة مفقودة.

- قطعة مفقودة! وكيف طارت! ما كنت اتصور بانك ذكية الى هذا الحد.

وكانت الاشارة الاخيرة المبطنة كافية لاثارة دافينا فردت تقول لها بحدة:

- كفاك فلسفات وسخافات، يا آنسة ريانون، صدقيني بانني تواقة للرحيل هذه اللحظة.

ثم اقتربت منها وانحنت لتهمس في اذنها قائلة:

- انت بامكانك مساعدتي اذا كنت حقاً تريدين المساعدة.

- كيف؟ ولماذا تطلبين مني المساعدة؟

- كي اتمكن من الرحيل.

- ولكن كيف؟ وما هي هذه المساعدة؟

- كل ما اطلبه منك هو ان تنقليني بالسيارة الى اقرب محطة لسكة الحديد.

- كلا، لا استطيع القيام بهكذا مساعدة. هل تظنين بانني ساذجة الى هذا الحد: انا اعرف قصدك. انك تتصورين بان لويد سيلحق بك. اجل، يجب ان تفهمي بان هذه الخطة لن تنجح ولن تنجحي في سحبه من هنا.

- انت مخطئة يا آنسة ريانون. صدقيني بانني راحلة من اجل سعادتكم جميعاً، ولن ابوح لأحد بسر مساعدتك لي.

- كلا، لن اساعدك لأنني متأكدة مما تخططين له.

قالت ذلك بعصبية ظاهرة ونهضت من كرسيها لتخرج وهي تثرثر قائلة:

- من قال لك بانني اريد مساعدتك. كان يجدر بك ان تبقي حيث انت في لندن.

وتركت دافينا وراءها غارقة في بحر من الحيرة والدهشة.

وبعد لحظات غادرت دافينا مكانها، بعد ان تضايقت من الجو الحار، واخذت طريقها الى الصالون وهي تتلفت يميناً وشمالاً مخافة ان تلتقي مع الآنسة ريانون وتتجدد المعركة. وجدت الصالون خالياً من الناس. والشيء الوحيد الذي اثبت لها بأن هيو مورغان كان لا يزال قابعاً داخل الفندق، هو وسيارته الواقفة في وسط الساحة الخارجية. صحيح انها عاتبة عليه لأنه رفض ان ينقلها الى محطة السكة، ولكن الصحيح ايضاً انه رفض لاسباب لها ما يبررها، وقد يكون اهمها ان تبقى هنا، حتى اذا تصالحت هي مع لويد، عادت الآنسة ريانون تلقائياً الى كنفه. ومن جهة اخرى، كانت لا تستبعد ان يكون لاعبو الشطرنج هنا قد بدأوا يستعملونها كحجر من حجارة اللعبة، كل واحد منهم حسبما يتفق مع رغبته واهدافه.

وعلى العموم، كانت دافينا لا تلوم احداً على ما كانت تتعرض له من نكسات ونكبات، بل انها، على العكس من ذلك، كانت تعتبر نفسها مسؤولة عن كل ما كان يصيبها.

وكأني بها شعرت بتجدد عزيمتها وتصميمها على ممارسة حقوقها غير منقوصة، اسوة بغيرها من جميع البشر، بدون ان تسمح لأحد من الناس بمنعها من ممارسة هذه الحقوق، او ارغامها على الانتظار الى ما شاء الله ريثما يسمح لها بذلك، فانتفضت واقفة، واخذت طريقها الى خارج الفندق، وتوجهت لتوها الى سيارة هيو، وراحت تتأمل صندوقها الخلفي، والخيمة الموضوعة فيه، وامكانية الاختباء تحتها ساعة تقرر الرحيل، بدون ان تخبر احداً بالأمر، ولا حتى هيو نفسه، الا بعد ان تبتعد السيارة مسافة عن الفندق.

بقيت امامها عقبة وحيدة، ولكن اساسية، وهي انها لا تستطيع معرفة متى سيقرر هيو مغادرة المكان، اذ لا يمكنها الاختباء تحت تلك الخيمة الى ما شاء الله الا اذا شاءت ان تعرض نفسها لمخاطر الاختناق التي كثيراً ما تؤدي الى الموت. ولكن، هناك وسيلة واحدة

تمكنها من الهرب بعيداً عن مواجهة خطر الموت وهي ان تبقى في غرفتها حتى اذا شاهدت هيو متوجهاً الى سيارته اسرعت في الخروج واللحاق به.

وهكذا عادت الى غرفتها، فوضعت ثيابها وحوائجها في حقيبتها بعد ان اخرجت منها الأوراق المتعلقة بالرحلة الاميركية المقترحة ووضعتها في خزانة ثيابه. ثم جلست بجانب الشباك تراقب خروج هيو.

لما طال انتظارها على غير طائل، قامت وحملت حقيبتها، وخرجت بها ومشت الى السيارة، حيث وضعتها تحت الخيمة وعادت الى الفندق كأنها لم تفعل شيئاً.

في هذه الاثناء كانت الاستعدادات جارية في المطبخ لتحضير وجبة العشاء، فقررت دافينا الانتقال من غرفتها الى المطبخ، يقيناً منها بان يكون هيو قد استبقي لتناول العشاء هنا، فيسهل عليها مراقبته من هناك، بعد ان تعرض نفسها لمساعدة عمة لويد في تحضير الطعام، على سبيل التمويه. وفوجئت عندما رأت لويد وهيو جالسان في الصالون المجاور لغرفة الطعام، يتبادلان اطراف الحديث بشغف واهتمام، لدرجة انهما لم يرياها عندما مرت من هناك لتصل الى المطبخ. المهم انها تأكدت الآن من ان هيو باق لتناول العشاء. كل شيء يجري حسب الخطة المرسومة حتى الآن.

كان هيو اول من بادر الى الحديث مع دافينا، بينما كانت السيدة باري تصب الشاي في الفناجين. وفكرت انه ربما فعل ذلك كي يرفع من معنوياتها، ويمهد بالتالي لترطيب الأجواء. فقد اقترب منها وهو يبتسم لها ويقول:

- كفاك تفكيراً بأمور الدنيا ومشاكلها!

ثم استدار وتابع يقول موجهاً كلامه للجميع:

- ما رأيكم ان نخرج بعد العشاء ونسهر في مكان ما!

وصمت يفكر لحظة ثم تطلع الى لويد وقال له مداعباً:

- يجدر بك ان تهتم بأمورها اكثر من ذي قبل وتؤمن لها جميع اسباب الراحة والا هجرتك وعادت الى لندن.

خيل لدافينا، للوهلة الأولى، ان هيو يمهد الطريق للكشف عن المساعدة التي سبق وطلبتها منه. لذا سبقت لويد في الرد عليه، في محاولة لقطع الطريق امامه، اذا كان فعلاً ينوي الاعلان عن ملابسات المساعدة التي طلبتها منه، وقالت:

- اطمئن، يا سيد هيو، اطمئن! ان شيئاً من هذا القبيل لن يحدث. فالحياة تبدلت كثيراً من حيث الاثارة والتشويق.

وتركت له تفسير ذلك على هواه، وتركت للويد المجال كي يستنتج بانها تتطلع بشوق ما بعده شوق الى اقتراب وقت النوم. ولسان حالها يقول: فليفسر ذلك حسبما يشاء، وقريباً يكتشف فداحة غلطته.

ثم تدخلت ريانون في الحديث لتعتذر عن علم تمكنها من الخروج الليلة. وتلاها لويد معتذراً عن الخروج وهو يتطلع الى دافينا بطرف عينيه، واضاف يقول:

- بودي ان انام الليلة باكراً اذ انني اكاد اموت من التعب والارهاق.

وعبثاً حاول هيو اقناع الآنسة ريانون بالعدول عن رفضها والخروج الليلة، فلم تقتنع.

في هذه الاثناء كانت دافينا غارقة في التفكير بطريقة تمكنها من الهرب، بعيداً عن انظار الجميع، وبدون ان تثير الظنون حول تلك الخطة، ثم تشرب رشفة من الشاي، تعاود بعدها التفكير في الخطة، الى ان انتهت. ثم غادرت الغرفة وذهبت للجلوس في الصالون، حيث التقت افراد اسرة فنتون وراحت تتفرج على اللعبة التي كانوا يلعبونها، ثم ودعتهم وخرجت بحجة انها ذاهبة الى النوم باكراً، فأبى الابن تيم الا ان يرافقها حتى تخرج من الباب وهو يلاطفها، ويجاملها، ويسألها عن رأيها في الشلالات والتنين، وعما اذا كانت

فعلاً تعتقد بوجوده ام لا، حتى خرجت.

لم تذهب دافينا الى غرفتها كي تنام، كما قالت. وانما خرجت من الفندق وهي مصممة على الرحيل، ما يهمها الآن هو ان تتمكن من الوصول الى سيارة هيو بدون ان يراها احد، والصعود اليها، والاختباء تحت الخيمة، ريثما يحضر هيو وينطلق بها. وقد حالفها الحظ في تنفيذ كل ذلك بمنتهى السهولة.

وما هي الا لحظات معدودة حتى بدأت تسمع صدى اصوات وقهقهات صاخبة، فأيقنت ان ساعة الفرج قد دنت، بعد ان تأكدت من سماعها صوت لويد، وتبعه وقع اقدام تقترب من السيارة، لتسمع بعد ذلك مباشرة صوت باب السيارة يفتح ويغلق، ثم صوت مفتاح محرك السيارة التي بدأت لتوها تشتغل لتتحرك بعد لحظات.

شعرت دافينا بأن السيارة كانت منطلقة بسرعة فائقة، وعلى طريق وعرة المسالك، نظراً للخضات والهزات التي كانت تتعرض لها من جراء رجرجات السيارة، وارتفاعها وهبوطها على طول الطريق، مما ارهقها وعرضها لرضوض كثيرة في جميع انحاء جسمها. ولكنها، كانت تشعر بالسعادة ليقينها بانها استطاعت الهرب من هذا المكان، الى غير رجعة، والافلات من القيود التي تكبلها.

وفجأة توقفت السيارة امام احد المنازل، ان الوقت الذي يستغرقه الوصول الى بيت هيو مورغان كان اطول من ذلك بكثير. وتريثت بانتظار عودة هيو، الذي ترجل ودخل ذلك المكان، لكنها انتظرت وانتظرت حتى عيل صبرها من الانتظار. عندها قررت الترجل من السيارة والدخول الى البيت للاستعلام عن سبب تأخر هيو.

ما ان دخلت البوابة الرئيسية المؤدية الى البيت حتى بدأ الخوف يتسرب الى نفسها. خافت لأن الحركة كانت معدومة داخل البيت، برغم الأنوار الساطعة التي حولت ليله الى نهار. وتابعت سيرها، ولكن بمنتهى التيقظ والحذر، حتى اصبحت في الداخل، من غير ان تقابل احداً بعد، وفوجئت بعد لحظات بمن يربت بيده على كتفها من

الخلف، فاستدارت لتجد نفسها وجهاً لوجه امام لويد، وهو يتأملها ويبتسم لها ابتسامة باهتة غاية في السخرية ويقول:

- ما لي اراك وحيدة، يا عزيزتي!

ثم اغلق الباب، وتركها جامدة في مكانها، وواجمة مما حدث، لا يمكن ان تصدق حقيقة ما كان يجري امامها.

٦ - ورود من الماضي

أيقنت دافينا الآن، وهي واقفة امام لويد، أنها وقعت في المصيدة، اما بسبب خطأ في حساباتها او بسبب تواطؤ أحد الذين اخبرتهم عن خطة هربها من المنطقة، مع لويد. وما عليها سوى ان تواجه الحقيقة كما هي. ولم يكن وجودها في هذا المنزل الغريب، ووجود لويد أمامها كالجدار المسدود سوى وجها واحدا من أوجه تلك الحقيقة التي عليها ان تواجهها، هذا اذا كانت فعلاً تنوي التوصل الى حلول جذرية وثابتة لجميع المشاكل التي تتخبط فيها.

هذا وبعد ان أحكم الطوق حولها، بادرها قائلا:

- حذرتك من مغبة اللعب بالنار، فلم تصدقي، ولم تأخذي تحذيري بجدية كافية. ألم أقل لك بأن النهاية ستكون مفجعة لك بقدر ما ستكون مفرحة لي! ما قولك؟

- أين هو مورغان؟

طرحت عليه هذا السؤال كأنها شاءت أن تخفف عن نفسها حدة ما اعتراها من انفعال مقرون بالحرج. وجاراها لويد في حديثها فرد على سؤالها قائلا:

- بقي في الفندق لمواساة الآنسة ريانون.

- يا لك من انسان عديم الشفقة والرحمة! انني اشفق على تلك الفتاة المسكينة.

- ربما كان هذا وحسبها ان تجد هيو الى جانبها كلما واجهها

حدث من العيار الذي تتصورينه. ويا حبذا لو يؤدي وجودهما معاً اليوم الى احداث منعطف حاسم في حياتها!

- انك تتحدث وكأن أمرها لا يعنيك اطلاقاً.

فهز كتفيه استخفافا وقلب شفتيه امعانا منه في اظهار استخفافه بما قالته، ورد قائلاً:

- أمرها يعنيني... يعنيني أنا! انك مخطئة في ما تذهبين اليه، يا دافينا. انا لست ذلك البطل الذي تتصوره ريانون. اعتقد بأن هيو قادر على أن يلعب هذا الدور في حياتها.

- لكن انت تنوي الزواج منها، اليس كذلك؟

هز رأسه بالنفي وقال:

- كلا، كلا، يا دافينا. كيف يعقل ان اتزوجها وانا متزوج! هذه الحقيقة راسخة في ضميري، لا يمكن ان يزعزعها شيء حتى وان تزعزعت جذورها في ضميرك انت!

تأملته دافينا طويلا قبل ان تعلق على كلامه وتقول بصوت هامس مشوب بالترجرج:

- لست أفهم كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا الكلام...

وقاطعها ليقول:

- أجل، ما قلت إلا الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة. هل نسيت ما وضحته لك قبل ايام قليلة مضت من انني لن اوافق على الطلاق بسهولة. قلت لك الحقيقة يومذاك لانني بحاجة اليك وعقدت النية على الاحتفاظ بك هذه المرة.

- حتى وان كان ذلك برغم ارادتي!

فتأملها وهو يبتسم ويقول:

- سأعطيك الجواب غداً في الصباح.

قال ذلك واقترب منها وهو يحدق فيها بنظرات يشع منها بريق غريب لم تعهده من قبل، فحاولت الابتعاد عنه لمنعه من اشراك يديه في اللعبة. واحتدم الصراع بينهما لفترة، بدون ان يتمكن منها بصورة

حاسمة، وبدون ان تتمكن من الافلات من بين يديه بصورة نهائية، حتى اعياهما التعب، فاتفقا على مناقشة مشاكلهما بالطرق السليمة.

وهكذا جلسا في زاوية من زوايا الغرفة تمهيداً لمناقشة الامور القائمة بينهما.

دار الحديث على النحو التالي:

سألته دافينا:

- من هو صاحب هذا البيت؟

أجابها لويد:

- ليس هيو... هذا أكيد.

- أجل! وكيف عرفت انني كنت مختبئة في صندوق السيارة؟

- بحدسي. حدسي أنبأني، مع قليل من الذكاء والنتيجة التي استنتجتها من تحليل الدوافع التي كانت تدفعك لطلب المساعدة من هيو. وعلى أثر ذلك اتفقنا انا وهيو على تبادل سيارتينا. وقد نجحت الخطة، كما ترين.

- آه، كم انت محظوظ!

- لكن لا تنسي بأنك نجحت في تنفيذ تهديدك بعدم تمديد اقامتك في الفندق ولو ليوم واحد...

قال ذلك واستأذنها للذهاب الى المطبخ لتحضير القهوة. وكان غيابه فرصة أتاحت لها المجال للقيام بجولة خاطفة حول المنزل، استنتجت بعدها ان لويد هو صاحب هذا البيت، بدليل ان محتوياته كانت متطابقة مع أوصاف المعمل الذي ينوي تأهيله لانتاج خيطان الصوف والاقمشة وغيرها. ودهشت عندما شاهدت النار متأججة في المدفأة، فاستوحت من الرماد الموجود في الزوايا بأن المدفأة اشعلت قبل عدة ساعات من وصولهما الى البيت، مما أكد لها بأن لويد كان يعد العدة خلال ذلك اليوم بالتعاون مع هيو، للايقاع بها.

عاد لويد بعد قليل، حاملا صينية القهوة بين يديه، وقدم لها فنجانا، وأخذ لنفسه فنجاناً، ثم جلس الى جانبها يتبادل وإياها

نظرات صامتة، الى ان قطعت دافينا صمتها بسؤاله:

- الى اين وصلت بتفكيرك؟

- سؤال جميل! ماذا تقصدين؟

- سألتك مثل هذا السؤال لأنني شاهدتك تفكر بجدية وعمق كمن يبحث عن شيء مفقود او عن دليل لاثبات حقيقة متنازع عليها.

- الزوج ليس بحاجة للبحث عن اثباتات تدين زوجته طالما بقيت الثقة بينهما قائمة وراسخة.

- تبدو لي وكأنك تتحدث عن الماضي!

- كلا، يا دافينا، لست في وارد الحديث عن الماضي.

- هكذا اوحى لي حديثك!

- مشكلتك انك دائمة التشكيك في كل ما ترينه يجري حولك. اجل، من حقك ان تسألي وان تسيئي الظن، لكنك لا تسألين في الوقت المناسب.

- بل كنت أسالك في الوقت المناسب، بينما كنت أنت. نعم أنت كنت تتهرب من الاجابة.

- مهلاً يا حبيبة قلبي الانانية، مهلاً! ما بالك تنفضين عن نفسك غبار كافة المساوىء والمتاعب وتلقين به على كاهلي! هل نسيت تصرفاتك الوقحة نحوي بعد ما نجحت والدتك في اقناعك بأنني لست ذلك النجم المتألق الذي كنت تحلمين به! نسيت، هه! تبا لك! يا لك من ماكرة وناكرة للجميل! والأدهى من كل ذلك هو انك تتصرفين معي على أساس كونك امرأة ذات ميزة وقيمة، يحق لك ما لا يحق لغيرك.

هنا تضايقت دافينا وغضبت، وانفعلت، فصارت تتصرف على غير هدى، فنهضت من كرسيها وهي ترتعش وتنتفض من فرط ما يتفاعل في باطنها من هواجس ومخاوف، ثم التفتت اليه وحدقت في عينيه والشرر يقدح من عينيها وخاطبته بحدة وعصبية تقول:

- كيف تجرؤ على اتهامي بمثل هذا، يا وقح، يا ماكر، يا لعين، يا...

وقاطعها ليقول لها ببرودة اعصاب:

- بل وأجرؤ على عمل ما هو أدهى وافظع كما سأثبت لك بعد قليل.

قال ذلك وضرب الطاولة الصغيرة امامه بقدمه فانقلبت، ثم راح يقترب نحوها ليمسكها وهي تبتعد عنه وملامح الخوف ظاهرة بوضوح على وجهها ومن خلال يديها المرتجفتين. وظل يطاردها وهي تهرب امامه، وتستغيث كي يرحمها، ويعف عنها، بدون جدوى. اذ أصر على تلقينها درسا لا تنساه في قواعد السلوك والطاعة الزوجية، وهي تتملص منه برشاقة وخفة كأنما جميع طاقاتها الدفينة استيقظت لمساعدتها في هذه المعركة التي لم تكن في الحسبان، حتى انتهى بها المطاف الى الوقوع ارضاً على أثر اصطدامها بالكرسي.

عندها، توقف لويد عن مطاردتها، ووقف يتأملها وهو يضحك بسخرية ويقول:

- هذه هي عاقبة الكبرياء والانانية والتهرب من المسؤولية، خاصة مسؤولية الامومة. على فكرة، أنت مدينة لي بولد... هل نسيت ان لي بذمتك طفل! لا تخافي، لن اطالبك به، ولكن تذكري بأنني سوف اكبلك بالسلاسل لمدة ستة اشهر، المرة القادمة، لضمان بقائه على قيد الحياة. واعذر من انذر!

هنا بدأت تبكي وهي تدافع عن نفسها لرد التهمة وتقول:

- تهمة سخيفة من رجل سخيف، لا تقدم ولا تؤخر. آه، لو كنت فقط تعرف حقيقة المحاولات اليائسة التي قمت بها لانقاذ حياته والآلام والاحزان التي تحملتها بسبب فقدانه لكنت ركعت امامي وطلبت مني الغفران.

- أجل، سمعت وعرفت، ولولا ذلك لكنت قطعت جولتي وعدت من حيث اتيت، وقضيت عليك.

وبدأت دافينا تشعر بالانهيار. لم يعد بوسعها ان تتحمل سماع اكثر مما سمعته حتى الآن من الاتهامات، والاتهامات المضادة، والمضايقات، والاحزان. وازداد شعورها بالانهيار عندما اصبحت لا تفهم جيدا ما كان يدور حولها، مع ما رافق ذلك من وجع رأس، ودوخة، الى ان اختل توازنها ووقعت ارضا بالقرب من كرسي لويد، وهي غائبة عن الوعي.

عندما استيقظت دافينا بعد ان استعادت وعيها وعافيتها دهشت من وجودها في غرفة تراها لأول مرة. غرفة غريبة عنها، بكل اشيائها ومحتوياتها. واكثر ما ادهشها هو انها سمعت اصداء اصوات تتردد في جو الغرفة ألفت سماعها في وقت من الاوقات، اذ لم تكن هذه سوى اصداء اصوات حروف الآلة الكاتبة آتية الى جو الغرفة من مكان مجاور. عند ذاك اطمأنت بأنها موجودة في منزل لويد.

إلّا ان اطمئنانها النفسي بدأ يخالطه القلق من ان يأتي السيد لويد للنوم في الغرفة ذاتها، بعد ان ينتهي من عمله، ويحاول مداعبتها بهدف ارغامها على البقاء هنا لغاية ان تلد له ولداً تكتب له الحياة.

هذا وبرغم ما عبر عنه لويد من مشاعر الاسى والحنان على فقدان طفله، من خلال اتهام دافينا بمسؤولية فقدانه، بغض النظر عن التعابير القاسية التي استعملها، يبدو انها ما زالت مصممة على الرحيل.

وتجدر الاشارة الى ان حظها من النجاح في المحاولة الجديدة لم يكن افضل منه في محاولاتها السابقة. ويعود سبب ذلك الى سوء التقدير، وعدم التخطيط المسبق والمبني على الحقائق والوقائع. التصميم وحده لا يكفي لتحقيق النجاح، وبدون ان تتوفر له عدة عوامل مواتية، تسانده وتضمن له سلامة التنفيذ في مختلف الظروف والاحوال.

انطلاقاً من هذا الواقع، لا [illegible] الجزم، او بالاحرى الادعاء، ان سوء حظ دافينا هو السبب الوحيد لما آلت اليه محاولاتها السابقة من

فشل ذريع. وها هي الآن تقع في الخطأ ذاته، اذ اعتقدت بأن انشغال لويد عنها بعمله في الخارج كان كافيا لها لتحاول الهرب بنجاح.

ما ان تأكدت من استمرار لويد في عمله حتى خرجت من الغرفة، وراحت تمشي على رؤوس اصابعها بمحاذاة الحائط، تارة موارية، وطورا منحنية الظهر، لغاية ان وصلت بسلام الى طرف السلم، بدون ان يلاحظ لويد ذلك. ولكن يبدو ان سوء الحظ يأبى ان يفارقها، اذ انزلقت رجلاها فتدحرجت على السلم وسقطت ارضا، محدثة بذلك جلبة قوية، هرع على أثرها لويد الى مكان الحادث، ليصاب بصدمة من هول ما رأى، وهو لا يصدق عينيه. ثم انحنى ورفعها عن الارض وقال لها:

- ماذا كنت تفعلين هنا، ايتها الحمقاء؟ هل كنت هاربة! هل تشعرين بألم؟
- كلا. انني بخير.
- هذا غير معقول. مدي ذراعيك وحركيهما صعودا ونزولا لأرى ما اذا اصابهما سوء.
- لا لزوم لذلك. قلت لك انني بخير.

رفضت ان تدعه يفحص جسمها للتأكد من سلامته، كانت ذكريات المناقشة الحادة التي جرت بينهما لا تزال حية في ذهنها. ومع ذلك رفض لويد ان يتركها واقفة وحدها قبل التأكد من سلامتها. وبعد دقيقة صمت، سألها بنبرة حادة:

- حركي اصابعك! فأذعنت له وقالت:
- ها! حركتها.
- هل تشعرين بأي وجع.
- وجع بسيط، نعم، لا يهم.
- مدي ذراعك لأرى.

فكرت بأن ترفض، لكن شعورها بالألم ارغمها على اطاعة امره،

فبسطت ذراعها امامه بطريقة توحي بأنها فعلت ذلك برغم ارادتها.

وبالرغم من صرخة الألم التي اطلقتها حالما تحسس بيده موقع الرضة، ظلت متشبثة برأيها من انها بخير، وترفض بكبرياء ان يساعدها بوضع حذائها في قدميها، الا ان لويد لم يقتنع بأقوالها. اذ كيف يقتنع بعد ان سمعها تصرخ من الألم عندما جس بيده موقع الرضة. الشيء الوحيد الذي اقتنع به هو ضرورة نقلها الى المستشفى لمعاينتها وتصوير ذراعها بواسطة الأشعة. وهنا حاولت ان تقنعه بأنها تفضل ان ينقلها الى الفندق وهي توهمه بأن العمة باري قادرة على اسعافها ومعالجة ذراعها بطريقة افضل وانجع من الطرق المتبعة في المستشفيات لمعالجة هكذا حالات. ولكنها عبثاً حاولت، اذ تجاهل اقوالها وحملها بين ذراعيه الى السيارة، واجلسها الى جانبه، ثم انطلق بالسيارة الى المستشفى.

لم يكن في قسم الطوارىء ساعة دخول دافينا ولويد سوى الطبيب المناوب. وقد نهض لتوه من مقعده، وكشف على اصابتها، فهز رأسه تأثراً، ثم طلب منها ان توافيه الى غرفة الفحص حيث باشر على الفور بفحص اصابعها، واحداً واحداً، غير آبه لصراخها كلما مط بيده اصبعاً من اصابعها، او حركه في جميع الاتجاهات، حتى انتهى من فحصها وتطلع الى لويد من طرف خفي وكأنه شاء ان يعبر له وحده عن اسفه لاصابتها وهو يقول:

ـ لا تخافي. لا يوجد سوى عظمة واحدة مكسورة ويحتمل ان تكون عظمة اخرى مشعورة. في اي حال، يجب ان اخذ لك صورة على الاشعة.

وبعد برهة قصيرة خرجت من الغرفة لتجد لويد وآثار الحزن بادية على وجهه بوضوح لا يقبل الشك، كان ينتظرها ليناولها فنجاناً من الشاي ويقول:

ـ اشربي الشاي قبل ان يبرد ويفقد مفعوله. لقد علمتني الخبرة بأن الشاي الساخن والمشبع بالسكر مفيد جداً للصدمات. هيا اسرعي،

يا دافينا لئلا يبرد.

ابتسمت له، برغم الألم الذي كانت تقاسي منه، وجلست بجانبه على المقعد، تحتسي الشاي وهي مسرورة جداً من وجوده الى جانبها. ولكن هذا السرور المفاجىء غاب عن ثغرها بعد ان ابلغها الطبيب نتيجة الصورة بوجود عظمتين مكسورتين، وليس عظمة واحدة كما سبق واكد لها قبل التصوير. ولم يكن امامها سوى ان تتقبل هذا الخبر السيء برحابة صدرها المعهودة، ولسان حالها يقول: انا الغريق وما خوفي من البلل.

والألم الذي كان ينتظرها بعد قليل كان اشد ايلاماً في النفس من الم الصدمة ذاتها. اذ، لم يمض وقت طويل على تظهير الصورة حتى اخضعت لعملية تلبيس رسغها، ومفصل ابهامها بالجص، كانت عملية وضع الجص شاقة نظراً لحساسية الموقعين الواجب تلبيسهما به، وكلفت دافينا المزيد من الآلام والدموع.

بعد حوالى ربع ساعة عادت الى السيارة وصعدت اليها بمساعدة لويد، الذي كان له الفضل الاكبر في رفع معنوياتها، وانعاش روحها الحزينة بما راح يقصه عليها من نوادر مسلية ومضحكة، كانت كلها تدور حول ذكرياته الماضية وما تخللها من حوادث طريفة ومؤثرة، في آن واحد، خلال دراسته الجامعية. ودهشت عندما كان يحدثها عن تجاربه وممارساته الرياضية آنذاك والمنافسات الحادة التي كانت تدور بين اللاعبين وما يتخللها من مناوشات وخصومات عابرة، ليسمعها تنصحه بضرورة تناسي الماضي، واهمية التطلع الى المستقبل، واخذ العبر من الماضي لمعايشة الحاضر، وبناء المستقبل. وهكذا عادت وقفزت صور الماضي الى خاطرها والذكريات، فندمت على ما فاتها من فرص سعيدة ومفيدة لبناء مستقبلها وتثبيته على اساس نبذ السيئات واعتماد الحسنات وتطويرها نحو الأفضل.

وفي غمرة هذا الشعور الذي راودها لنبذ الماضي البغيض، التفتت الى لويد لتشعر بالدهشة من رؤيته على نحو من العبوس وهو

ضاغط بكلتا يديه على المقود، يتطلع امامه بعينين جاحظتين فتصورته يفكر بحل اللغز الذي يكتنف عملية اجهاض الجنين، برغم محاولاتها اليائسة لاقناعه بأن الاجهاض كان مقدراً له ان يحدث. واحتارت لمعرفة الاسباب التي تجعله يعتقد، بل يصر على الاعتقاد، بأنها اجهضت نفسها عن سابق تصور وتصميم، ويرفض تصديق روايتها الصادقة عن الحادث. لم تتذكر شيئاً يبرر له اعتقاده بانها تعمدت اجهاض نفسها، سوى ان تكون والدتها قد سربت له مثل هذا الخبر بهدف دفعهما دفعاً الى الطلاق، بعد ان باءت جميع المحاولات التي بذلتها في سبيل افشال زواجهما. وتساءلت: هل يعقل ان تقدم والدتي على عمل خسيس كهذا؟

وفي سياق التساؤلات التي بدأت تراودها حول الدور الذي يجوز ان تكون والدتها قد لعبته في تكوين التهمة الموجهة اليها بالاجهاض عمداً، توصلت الى الاقتناع، او ما يشبه الاقتناع، بأن والدتها لعبت الدور الأكبر في هذا السبيل، بعد ان توصلت الى معرفة السر الذي يكتنفه الغموض لحل هذا اللغز، والذي يكمن في الحديث الذي جرى بين والدتها ولويد عندما طلبت منها ان تتصل به هاتفياً وتقول له بلسانها كي يقطع جولته ويعود الى لندن لتقرير ما يجب عمله قبل اجراء عملية الاجهاض.

لا حاجة الى القول بأن دافنيا كانت تجهل الدوافع التي تهيب بوالدتها لفعل اي شيء يؤدي الى طلاقهما، او مدى المحبة العميقة التي تكنها لها، او مدى الحقد الذي تكنه للويد. كما كانت تعرف تماماً مدى الانانية التي تتفاعل في نفس والدتها، لدرجة انها كانت لا تتورع عن الحاق الأذى بأوفى صديقاتها واصدقائها لأتفه الاسباب. والشواهد على ذلك اكثر من ان تعد وتحصى. فماذا يمنع والدتها من الحاق الأذى بلويد، ذلك الاذى الذي تراه، بدافع سخافتها وانانيتها، سيعود بالخير على ابنتها. لا شك في ان والدتها تعتبر طلاقهما نعمة وانقاذاً لكرامتها ومستقبلها. وكانت دافنيا ترفض هذه

المعادلة في تعاملها مع الناس، وتعتبرها غير قابلة للحياة، ومجردة من الرحمة والعدالة والوفاء.

لم تستيقظ دافنيا من ذهولها وخواطرها الا عندما شعرت بتوقف السيارة. وقفز لويد من مقعده الى الأرض، بدون ان يلتفت اليها كأنه في سباق مع الزمن، ودخل الى المنزل، حيث قابل السيدة ايفانس واقنعها بتخصيص غرفة لهما لقضاء الليل فيها. ثم خرج ليعود بعد لحظات ويدخل برفقة دافنيا وهو يحمل حقيبة الثياب بيد، ويطوق خصرها باليد الاخرى، فيما كانت صاحبة المنزل واقفة في الردهة، وهي تتأملها بنظرات مفعمة بالشفقة والرأفة والتأثر، لاستقبالها ومرافقتها الى باب الغرفة التي شاءت ان تضعها تحت تصرفهما للمبيت فيها تلك الليلة.

ما قامت به ربة المنزل تجاه دافنيا من خدمات انسانية، وما بدر من لويد نحوها من مشاعر نبيلة، واندفاع عفوي لعمل اي شيء تطلبه او تحتاجه في سبيل توفير جميع اسباب الراحة والهدوء والاطمئنان لها، اعاد اليها تدريجيا ثقتها بنفسها التي وصلت الى حد الانهيار خلال اليومين الماضيين، وشعورها بالسعادة التي كانت لا تزال تبحث عنها منذ ان افتقدتها بعد زواجها بفترة قصيرة جداً. كانت السيدة ايفانس في شبه حركة دائمة، وهي تتنقل بين غرفتها والمطبخ، تارة حاملة الشاي، وتارة المرطبات، لتذهب وتعود مرة اخرى حاملة لها الماء الساخنة موضوعة في كيس من المطاط كي تستعمله لمقاومة البرد. في حين كان لويد يجلس بجانبها يسليها بنوادره المضحكة، ويساعدها في نزع ملابسها، وهو يتأملها بنظرات بريئة، صادقة، حالمة، متعطشة، ذكرتها وهي تبادله نظرات مماثلة بأن الحقيقة لا يمكن ان تتغير، مهما قست الظروف، وكيفما تبدلت وتغيرت المواقف والتصرفات.

وعندما استيقظت دافنيا في الصباح، شعرت كأنها خلقت من جديد، وكأن الليلة الماضية هي الانطلاقة الحقيقية لبداية الحياة

الزوجية التي طالما حلمت بها، اذ حصلت خلالها على كنزها المفقود الذي كان يخبئه بين ضلوعه ويرفض، برغم محاولاتها اليائسة، وتضحياتها الجسيمة، وتحمل شتى الوان القهر والعذاب لدرجة تفوق على الاحتمال، يرفض مجرد التلميح لها بما يطمئنها الى وجود كنزها المفقود عنده. وجدت ضالتها المنشودة، هذه الليلة، فسبقته الى النهوض من النوم للتمتع بشمس الصباح الدافئة، والهواء المنعش، ومناظر الطبيعة الساحرة. الماضي مضى الى غير رجعة. ولم يبقى في خاطرها من ذكريات عنه سوى ما كان يمثله لويد من آمال عارمة تجسد كل احلامها الماضية وطموحاتها المستقبلية. وقفت تتأمل الطبيعة كأنها كانت تحلم، او كأنها تستعيد في اليقظة ما كانت تتصوره اضغاث احلام راودتها الليلة الماضية وهي لا تصدق كيف ان ليلة واحدة من الود المتبادل، والثقة المتبادلة، والعواطف المتبادلة، ازالت رواسب مئات الليالي التي حفلت بشتى المآسي والأحزان، واعادت اليها كنزها المفقود. اكتشفته مرة عندما سمعته يردد بسره ويقول تكراراً: تعالي الي يا دافينا، تعالي وضميني الى صدرك واطبعي بثغرك الباسم قبلة دافئة على جبيني فيطمئن قلبي الى حبك... انني احبك ولا احب احداً سواك. وهي لا تصدق، الا بعد ان سمعته يردد القول نفسه وهو في اليقظة، بعد ان عادت الى الداخل، اذ دعاها وهو يكاد لا يتمالك نفسه من شدة الفرح الذي كان يغمره، دعاها للجلوس على حافة سريره، وراح يحدثها عن رحلة شهر العسل التي سيقومان بها فوراً بعد وصولهما الى فندق بلاس غوين ليأخذا ما يحتاجان اليه من ثياب واغراض خلال جولتهما، كل ذلك، بدون ان يتطرق الى خلافاتهما الماضية او الى موضوع الطلاق، لا من قريب او بعيد.

غير ان هذه الفرحة العارمة لم يكتب لها ان تدوم لأكثر من الخمس دقائق التي ذهب لويد خلالها للاتصال بعمته في فندق بلاس غوين، وعاد بعدها تطفح على وجهه مظاهر العبوس والتجهم بعد ان اخبرته

عمته عن وجود والدة دافينا في الفندق تنتظر رجوع ابنتها كي تعود معها الى لندن، عاد وعلى وجهه بشائر لا توحي كثيراً بالارتياح، وجعلت دافينا تتساءل بحسرة، ترى، ماذا حدث لتخطف منه ثمرة تلك الفرحة التي اينعت ونضجت وقطفت، وعطرت رائحتها الزكية نفسيهما بعطر جميل خالته سيبقى عالقاً بهما الى ما لا نهاية.

ولكن عجبها زال بعد ان اخبرها وهو يتطلع اليها بطرف عينيه، قائلاً:

- انتهت رحلة شهر العسل قبل ان تبدأ... وصمت قليلاً وهو يتأملها ويهز برأسه، ثم تابع يقول: هناك من ينتظرك في بلاس غوين، يا لها من زيارة مفاجئة، هيا بنا!

وقفت امامه مدهوشة وقد غمرتها الحيرة فعقدت لسانها واعجزته عن الكلام بطريقتها السلسة المعروفة اذ صارت تلفظ الكلمات مستقطعة ومتباعدة مقرونة باشارات من يديها المرتعشتين لتعبر عن الحيرة التي تعجز الكلمات عن الايحاء بها وتقول:

- لا انتظر زيارة احد... صدقني يا لويد. لا اريد رؤية احد...

- هل انت متأكدة!

- تماماً، انا متأكدة كل التأكيد!

- تباً لوالدتك اذن، انها بانتظارك في الفندق... اظنها تحاول طعنك في الظهر للمرة الثانية.

وصمت يتأملها وقد اغمض عينيه نصف اغماضة، ثم تابع يقول بحدة وهو يهز باصبعه:

- اياك ان تنكري تورطك في تدبير خطة هذه الزيارة بالاتفاق مع والدتك قبل مجيئك الى هنا. اجل، يا دافينا، لا يسعني الا ان اهنئك على نجاحك الباهر في موضوع الخداع وفي عالم التمثيل. تبقى كلمة اخيرة لا بد منها وهي نصيحتي لك بألا تذهبي بعيداً في توقعاتك والآمال التي راودتك بفضل الانجازات الرائعة التي حققناها معاً ليلة

امس.

قال ذلك ثم استدار ومضى يسرع الخطى بعيداً عنها حتى توارى عن انظارها وهي واقفة على مطلع السلم، جامدة، صامتة، محطمة، تصغي بصمت لتأوهاتها الهامسة.

٧ - حب الى الأبد

كانت العودة الى فندق بلاس غوين اشبه بحلم مروع، اذ تقررت فجأة، ونشطا لتنفيذها على الاثر لدرجة جعلتها يرفضان دعوة السيدة ايفانس لتناول طعام الفطور معها بحجة ان الوقت كان ضيقاً للغاية ولا يسمح لهما بهدر لحظة واحدة خارج نطاق الاستعداد لرحلة العودة، والبدء بها على الفور. وعبرت دافينا عن امتنانها للسيد لويد على صموده الرائع بوجه الحاحات السيدة ايفانس المتكررة لمشاركتها في وجبة الصباح، والذي انقذها من مأزق حرج جداً كان لا مفر لها من الوقوع فيه، لو جلست الى المائدة لتأكل وهي عاجزة عن الأكل بسبب ذراعها المكسورة.

غير ان التطور المفاجىء للأحداث كان يقلقها، وكان ينذر بتحول أسرع مما كانت تتصوره من ذروة السعادة الى هوة اليأس والكآبة، ويشعرها بأن حياتها مقبلة على حالة من الاستنزاف، تفوق قدرتها على الاحتمال. ذلك ما بدأ يخالجها وهي جالسة بجانب لويد في السيارة، تتطلع الى المناظر الطبيعية حيناً والى لويد حيناً اخر.

وبعد لحظات بدأت تناشد لويد ان يصدقها بأن خبر قدوم والدتها الى المنطقة صدمها، فلم تنجح، اذ انه رفض رفضاً قاطعاً تصديق الدوافع البريئة التي اهابت بوالدتها للقيام بهذه الزيارة المفاجئة، واعتبرها حلقة في سلسلة خططت لها سابقاً وقد تعزز شعوره السلبي ازاء زيارة الوالدة عندما تذكر محاولة دافينا الاتصال بوالدتها هاتفياً،

منذ يومين، تلك المحاولة التي وصلته اخبارها من عمته، السيدة باري وهي لا تدري بفشل تلك المخابرة بسبب وجود والدة دافينا خارج البيت، في ذلك اليوم.

كانت تميل الى معارضة العودة الى الفندق لولا خوفها من ان يتهمها لويد بمحاولة اخرى للتهرب من مواجهة الحقيقة، ثم رضيت وفي ذهنها ان تقنع والدتها بضرورة الكف عن التدخل في شؤونها الخاصة. وفيما كانت تفكر بالطريقة التي ستواجه بها والدتها عندما تقابلها في الفندق، التفتت اليه وتذكرت بانه، منذ لحظة الانطلاق، لم يحاول، ولو مرة واحدة، ان يلتفت اليها، او يرد على أي سؤال من اسئلتها، او ان يبادرها بكلمة واحدة بعيداً عن الاسئلة التي كانت تطرحها عليه، مما اعاد اليها الشعور بالألم الذي كاد ان يتلاشى كلياً بفضل المودة المتبادلة التي كانا ينعمان بها لفترة قصيرة خلت.

وفكرت بضرورة انعاش جو الجمود والعبوس الذي كان يظللهما داخل السيارة كي تعيده الى الأجواء المرحة السابقة، فضلاً عن الشعور المشترك بالأخذ والعطاء الذي بدأ يشدهما الى بعضهما بعضاً، مع ما اثار ذلك من حنين في نفسها للعودة الى لويد، واستعادة ثقته الكاملة بها. وبدافع هذا الشعور، التفتت اليه وخاطبته بصوت هامس هادىء قائلة:

ـ لويد! لويد! يجب ان نتحادث. قل شيئاً... اي شيء... من غير المعقول ان نظل هكذا صامتين.

ـ ولم لا؟ رد بدون ان يعيرها ولو لمحة خاطفة، فظل يتطلع امامه، وتابع قائلاً:

ـ مثلنا مشهداً من المسرحية معاً بالأمس. وبذلك يمكنك العودة الى لندن والتمتع باناقة وبهجة وسلامة الحياة فيها.

ـ لا يجوز لك ان تتفوه بمثل هذا الكلام، وأنت أدرى مني بالحقيقة. لست ادري ماذا او كيف يجب ان افعل كي اقنعك.

ـ لا حاجة بك لذلك... لا تعذبي نفسك. انخدعت بما اثاره

التقشف من حنين جارف في نفسك نحوي وظننته سيدوم.. لكن سرعان ما خاب ظني... لا شيء يدوم... لا شيء.

ـ بلى، هناك شيء واحد يدوم هو الحب. الحب يبقى ويدوم، اللهم الا اذا كنت لا تعني ما قلته لي.

ـ اجل، كنت اعني ما قلته في حينه.

وصمت يفكر ويتأملها لحظة ثم تابع يقول بلهجة قاسية:

ـ ولكن لا تنسي ان الرجال يميلون احياناً الى المبالغة في مجاملاتهم الى حد الافراط والابتذال ساعة يعيشون مثل تلك اللحظات، كما لا يخفى عليك، يا دافينا.

ـ ما قلته هو افظع ما سمعتك تقوله حتى الآن.

ـ عودي الى حيث يجب ان تكوني والزمن يشفي الجراح والأحزان وقبلة واحدة تطبعها امك على وجهك تكفي لمعالجة الصدمة البسيطة التي اصابتك.

ادارت وجهها وراحت تتطلع امامها بنظرات زائغة بعد الصدمة التي شعرت بها من جفاء كلامه، وقساوة قلبه، وخشونة ملامحه، لدرجة ان حرارة اعصابها وصلت الى درجة الغليان ساعة انعطف بالسيارة نحو الطريق المؤدية الى الفندق، بدون ان تفقد الأمل من تخفيفها وتسكينها بعد المواجهة المتوقعة بينهما.

وما هي الا لحظات حتى وصل الى الفندق واوقف السيارة في الساحة الأمامية. فترجلت منها، بعد تريث قصير لاستعادة انفاسها، وطلبت من لويد ان يجلب لها حقيبتها من صندوق السيارة، كي تستعمل المرآة لتسوية شعرها ومسح اثار الهم والغم عن وجهها، بالبودرة او باحمر الشفاه. لا يهم، فالمهم بنظرها هو ان تخفي عن والدتها كافة مظاهر البؤس والشقاء البادية على وجهها.

ثم سارت بخطى ثابتة صوب الباب ودخلت الفندق، حيث كان الفتى تيم فتون اول من التقته، فحيته ورد لها التحية باحلى منها، ثم سألها بلهجة مؤثرة كمن يتعرض فجأة لحادث مفجع بعد ان لمح

ذراعها المضمد المشدود الى عنقها برباط ابيض:

- ما الخبر! سلامتك! كيف حدث لك هذا؟

- شكراً على عواطفك النبيلة يا تيم. اطمئن. كسر بسيط ويشفى بعد مدة قصيرة.

- مسكينة! مسكينة انت يا سيدة دافينا. سلامتك.

- شكراً... الوداع.

ثم تابعت طريقها ودخلت الى الصالون، لتقف مذهولة من رؤية والدتها جالسة هناك وحيدة، تدخن وتشرب القهوة، واخذت ترتعش من الهلع الذي داهمها حالما شاهدت ابنتها في حالتها الحاضرة وقالت لها:

- ماذا دهاك وماذا فعلت بنفسك!

- تزحلقت وكسرت ذراعي. الم تخبرك السيدة باري؟

فقاطعتها لتقول وهي تشير لها بيدها بما معنى انها ليست قلقة على ذراعها بقدر ما هي قلقة على مصيرها، وتتأمل وجهها وشعرها وشكلها:

- ماذا حدث لك؟ اخبريني. ما الذي جعلك هزيلة خلال يومين، تبدين كالشبح؟ شيء لا يصدق!

تأملتها ثم اقتربت منها وصارت تداعب شعرها بيدها وهي تقول لها:

- اماه، هل تكبدت كل هذه المشقة والتعب لمجرد ان تأتي وتنتقدي مظهري.

- كلا، طبعاً لا. اتصلت بك هاتفياً امس كي اسألك متى ستعودين. المرأة التي ردت علي اخبرتني بانك خرجت في نزهة مع زوجك ولا تعرف متى ستعودان.

- على فكرة، لم ار سيارتك في الخارج؟ كيف جئت؟

- استأجرت سيارة. السائق ذهب لقضاء بعض الحاجات وسيعود بعد ساعة. اود ان تكوني جاهزة للسفر عندما يعود. هل عندك

ملابس غير هذه ترتدينها؟

- عندي، نعم عندي. قالت دافينا بلهجة هادئة وصمتت تفكر ثم تابعت تقول:

- ولكن يؤسفني القول بأن رحلتك ذهبت سدى لأنني لا افكر بمغادرة هذا المكان.

وتبع ذلك صمت رهيب مشوب بالوجوم، راحت والدتها خلاله تتأملها وتهز رأسها تحسراً وتأوهاً، الى ان انتهت الى القول:

- اهكذا تردين على اهتمامي بك وعلى التضحيات التي ابذلها من اجلك؟ هل يمكنك تصور المخاوف التي داهمتني امس عندما وصلت وعرفت انك كنت خارجة برفقة ذلك الرجل ولا احد يعرف المكان الذي توجهتما اليه، كلا، فهذه امور لا تعنيك ولا تهمك.

- اماه، مالي اسمعك تتحدثين وكأنك الأم الوحيدة في العالم التي احتضنت ابنتها واعتنت بتربيتها وشؤونها المختلفة و...

فقاطعتها والدتها لترد عليها وهي تنتفض حدة وغضباً قائلة:

- ارجوك لا تجربي ان تكوني وقحة او ذكية. صحيح انك تزوجت وتتمتعين بمزايا وصفات رائعة، لكن الصحيح ايضا انك ما زلت تتصرفين كالطفلة في كثير من المجالات. وكما تعلمين، لحقت بك الى هنا لأنني سمحت لك بالسفر على اساس انك ذاهبة لبحث موضوع الطلاق مع ذلك الزوج...

وقاطعتها دافينا وهي تحدق فيها لترد عليها قائلة برصانة وجدية:

- صدقيني يا اماه! ارجوك ان تصدقيني. ان وضعي لم يعد يسمح لك بالتدخل في شؤوني الشخصية، وعلى الاخص موضوع الزواج.

هنا غابت تلك الابتسامة الباهتة التي كانت لا تزال ظاهرة على وجه الوالدة لتحل محلها ملامح الغضب والاثارة، قبل ان ترد عليها بحدة بارزة وتقول:

- دفاعك المستميت لم يدهشني كثيراً! كنت دائماً اتوقع سماعه ذات يوم بعد ان تأكدت من استسلامك الفاضح لمشيئة هذا الرجل

ورغباته واهوائه بمجرد ان يلوح لك باصبعه.

- انني احبه!

- كيف تحبينه وانت لا تعرفين معنى الحب! هل نسيت كيف اهملك وعاملك كأنك خادمة وهو سيدك؟ لا. . . لا، يا ابنتي، انا لن اقدمك ضحية بريئة لهذا الهمجي. كلا، يا دافينا، لا تحاولي اقناعي بأن الحب يربط بينكما فالحب اسمى وارفع بكثير. . .

هنا هبت دافينا واقفة ومشت صوب النافذة حيث راحت تتطلع الى الخارج وهي تتأمل وتفكر، ثم استدارت وحدقت في وجه والدتها وهي تقول:

- كيف تتحدثين عنه بهذه اللهجة وانت لا تعرفين عنه شيئاً؟ كيف. . . تسمحين لنفسك التحدث بهذه اللهجة القاسية عن انسان تجهلينه؟ انا لست في وارد ارغامك على احترامه وتقديره، وانما بودي ان انصحك بأنه قد آن الأوان كي تطهري نفسك من رواسب الضغينة والحقد تجاه هذا الانسان.

- اجل، لو كان يتحلى بأدنى قدر من المسؤولية الاجتماعية لفعلت. . . قالت ذلك وصمتت لحظة تفكر ثم تابعت كلامها وهي تضحك وتقول: وماذا تنتظرين مني ان اضمر له غير الحقد والضغينة طالما اراه يتعمد تعذيب ابنتي واذلالها واهانتها. انني اتحدى اي ام اخرى لتبرهن بانها تشعر عكس شعوري اذا ما رأت ابنتها تلقى المعاملة نفسها التي تلقينها انت. . . نعم اتحدى واقبل التحدي.

- يا اماه! لا اخالك بحت له بأنني انوي اجهاض نفسي الا بدافع حنانك الامومي ذاك الذي حدثتني عنه منذ لحظات، اليس كذلك؟

وبأسرع من لمح البصر، اصفر وجه الوالدة واوشكت على الاغماء لو لم تسرع دافينا لنجدتها وانعاشها حتى استعادت رشدها. وكان ما حدث لها كافياً لفضحها امام ابنتها، اذ ان ملامح وجهها كشفت لدافينا بوضوح حقيقة ما كانت تخفيه والدتها بين ضلوعها فشعرت بمرارة تحز في نفسها.

ازاء الموقف الحرج الذي اوقعت نفسها فيه، من حيث تدري او لا تدري، راحت الوالدة تحاول يائسة الدفاع عن نفسها، وهي تتذرع بشتى التبريرات وعبارات الود والحنان قائلة:

- لا تصدقيه، يا حبيبتي، لأن ما قاله لك هو عكس ما قلته له تماماً. يا له من كاذب مخادع. انه يحاول الايقاع بيننا بدافع غيرته. انا اكتشفته وعرفته على حقيقته منذ ان التقيت به اول مرة.

- كلا، يا اماه، لا اعتقد بانه يضمر لي الشر. . . وصمتت تفكر لحظة ثم تابعت تقول:

- لست افهم كيف يجوز الخلط بين الاجهاض الارادي وفقدان الجنين القسري.

تأملتها والدتها وهي ترطب شفتيها بلسانها، ثم ردت تقول:

- آه، تذكرت الآن، يا ابنتي الحبيبة. الواقع انني لم اذكر كلمة فقدان الجنين، وانما استعملت التعبير الطبي المعروف، كما سمعته من الممرضة، وخلاصته انك تواجهين حالة من الاجهاض الطبيعي ولا استبعد ابداً ان يكون سمع الكلمة غلط بسبب التشويش الذي حصل اثناء المخابرة.

- حسناً، وما قولك عن بقية رسالتي التي طلبت منك ان تبلغيه اياها! هل استعملت تعابير طيبة بقولك له مثلاً: كفاها ما ألحقته بها من مصائب واحزان، بدلاً من انها ترجوك ان تحضر حالاً، او ابتعد عن طريقها واتركها وشأنها، بدلاً من حاول جهدك ان تحضر لأنها بحاجة اليك.

وطار صواب الوالدة من معاملة ابنتها لها بهذه المصارحة الوقحة، فضربت الأرض بقدميها، وهبت واقفة وعيناها تتوهجان كاللهيب، ثم ردت قائلة لها بحدة وانفعال:

- متى ستفهمين بأن ليس من طبعي التسليم بشيء اطلاقاً. لكن يجب ان تتذكري جيداً بأنني قادرة على تكرار اللعبة، اكثر من مرة، بل مرات. وكما تعرفين، لم اكن مقتنعة بأن هذا الرجل يناسبك، منذ

البداية وقد زاد اقتناعي بذلك هذا البيت الحقير الذي ينوي دفنك فيه وانت حية. الا ترين؟ انظري حالته الكئيبة المهلهلة. ارجوك يا بنتي ان تفكري بمستقبلك قبل فوات الأوان. عودي معي الى لندن حيث يمكنك ان تفعلي كل ما تريدين فعله بعد استعادة حريتك. الدنيا مليئة بالرجال ولا بد من ان يحالفك الحظ يوماً فتتعرفي على رجل محترم من مستواك، يعرف قيمة المرأة ويحترمها، ثم لا تنسي بأنك سترثين ثروة والدك بعد سنتين. لست ادري ما اذا كنت تعلمين ماذا يعني ذلك بالنسبة اليك.

- نعم اعرف! انني ادرك حقيقة ما يعني ذلك بالنسبة الي والى غيري. اخبريني، يا اماه، امن اجل هذا تقومين بكل تضحيات الأمومة هذه؟ لكنك لست بحاجة للمال، فعندك منه ما يكفي ويزيد. هل طارت اموالك في مضاربات البورصة، ام بعد؟

- كفاك سخرية واهانة، ولكنني سأغفر لك كل ذلك لأنني اراك مضطربة جداً. ثم رفعت حقيبتها اليدوية عن الأرض وامسكتها بيدها وتابعت قائلة: انك لا تفهمين في مداولات الاسهم، ولن تفهمي ابداً.

تأملتها دافينا طويلاً قبل ان ترد عليها قائلة:

- لدي شعور بأنني سأتعلم هذا الفن فور انتقال ثروة والدي الي، خاصة اذا طلقني لويد. اما اذا قدر لي وبقيت زوجته، عندئذ، يحق له ان يبدي رأيه في كيفية استعمال تلك الثروة.

هنا، مشت الوالدة صوب الباب وهي تقول:

- ارفض الاستماع الى المزيد من هذه الأقوال التي ازعجتني لدرجة ان لساني اصبح عاجزاً عن وصف مداها. المهم، انني خارجة لانتظار عودة السائق واتوقع منك ان تلحقيني. وانا متأكدة بأنك ما زلت تعرفين جيداً، برغم اتهاماتك المتهورة بحقي، اين تكمن مصلحتك ومنفعتك.

ما ان خرجت الوالدة واغلقت الباب وراءها حتى استلقت دافينا

على الكرسي. اخيراً، عرفت الحقيقة، كما هي، لكنها رفضت ان تخبرها عن المآسي التي تكبدتها بسبب تدخلاتها في شؤونها الخاصة، لئلا ترضي غرورها وانانيتها. وحسبها انها عرفت الحقيقة الكامنة وراء كل المشاكل والمصاعب التي واجهتها، واكتشفت حقيقة الدوافع التي كانت تهيب بأمها للتورط في مناورات ومقالب لا يتورط فيها الا صغار النفوس. ثم غطت وجهها بيديها خجلاً من معرفة ان والدتها قد انحطت الى هذا الدرك، عندما راحت تبذل محاولات يائسة، الواحدة تلو الاخرى، في سبيل افشال زواجها، بأي ثمن. كانت تقوم بمحاولات يائسة ودائبة لأن الفشل، في نظرها، يعني نهاية ايام عزها وغطرستها وانانيتها وغرورها، على يد لويد، الذي اصبح بعد فشلها الذريع في فرض ارادتها عليه، يجسد الوسيلة القادرة على تحطيم عنفوانها ووضع حد لتصرفاتها والاعيبها، مع ما سينتج ذلك من فقدان سيطرتها على ابنتها بعد انتقال ثروة والدها اليها غداة بلوغها سن الخامسة والعشرين. من هنا، باتت لا تتورع عن محاولة الايقاع بين ابنتها وزوجها لارضاء كبريائها.

واكثر ما كان يحز في نفسها الآن، ويهز ضميرها من الاعماق، معرفة ان والدتها هي التي كانت تفتعل المشاكل بينها وبين زوجها، وتحاول اتهام لويد بها، بدون ان يكون للمسكين اي ضلع فيها، لا من قريب ولا من بعيد. وتساءلت: هل يعقل ان يوجد في العالم بأسره ام تبذل المستحيل في سبيل تحطيم سعادة ابنتها، مثلما تحاول امي ان تفعل؟ شيء لا يصدق... مستحيل.

ثم نهضت وهي تشعر بالاعياء من فظاعة ما اكتشفته، وذهبت لتستريح قليلاً في غرفتها، بانتظار عودة زوجها، وما ستفعله والدتها بعد عودة سيارتها الى الفندق.

خلال الفترة الواقعة بين خروج والدة دافينا وعودتها لمعرفة ما اذا كانت ستغادر هذه المنطقة وتعود معها الى لندن، جرت بعض الاحداث البسيطة العابرة، التي شاركت فيها دافينا، بطريقة او

باخرى.

فقد كان لها لقاء مع عمة لويد، عندما جاءت هذه الأخيرة الى غرفتها لتغيير شراشف السرير. وجرى خلال هذا اللقاء القصير حديث شيق بدأته العمة باري، فأخبرت دافنيا عن وصول والدتها الى الفندق، وهي مضطربة ومنفعلة من معرفة ان دافنيا، كانت تقضي نزهة في الخارج برفقة زوجها. وعلمت دافنيا من العمة باري ان والدتها باتت ليلتها في غرفتها، وان لويد كان ينوي اخذها معه لتمضية شهر العسل في مكان ما، لو لم تتعرض للحادث المشؤوم الذي ادى الى كسر ذراعها. وقبل ان تغادر الغرفة عبرت لها عن اسفها العميق، وتأثرها البالغ لما اصابها، وتمنت لها الشفاء العاجل.

وما ان اختفت العمة باري عن الانظار حتى وصلت الآنسة ريانون وتبادلت معها اطراف الحديث. وفرحت دافنيا عندما لاحظت التغيير الذي طرأ على تصرفات ريانون، كانت مهذبة، وهادئة الاعصاب، الأمر الذي جعلها تعتقد بأن التقارب الأخير بين السيد هيو والآنسة ريانون بدأ يعطي ثماره، بدليل ان ريانون حاولت هذه المرة مساعدتها في توضيب ثيابها ووضعها في حقائبها، ولم تنس ان تقول كلمة اسف في الحادث الذي تعرضت له، مما اهاب بدافنيا لاطالة الحديث معها، ولمست تجاوباً اكيداً لديها للبقاء معها لمدة اطول، لو لم تكن مضطرة للذهاب والبحث عن الفتى الضائع، تيم فنتون.

وما ان علمت دافنيا بضياع تيم حتى وضعت حوائجها جانباً وخرجت مسرعة للمشاركة في البحث عنه ورده الى اهله الذين اخروا رحيلهم من الفندق بسبب اختفاء ابنهم تيم بصورة مفاجئة. وكانت دافنيا اكثر حماسة من اي شخص اخر ممن اشتركوا في عمليات البحث عن ذلك الفتى لأنها كانت تعتبر نفسها مسؤولة، الى حد ما، عن ضياعه. اذ سبق لها وحدثته عن وجود تنين حقيقي في مغارة تقع عند سفح الجبل الشامخ هناك، فأبدى رغبته حينذاك في الذهاب الى

هناك لمشاهدة التنين. من هنا كانت لا تستبعد قيام الفتى تيم بهذه المغامرة ساعة كان اهله يعدون العدة للرحيل.

في هذه الاثناء، اقتربت والدة دافنيا من ابنتها وسألتها:

ـ هل انت جاهزة؟ السيارة وصلت وطلبت من السائق الانتظار قليلاً ريثما اعود. هيا اذهبي الى غرفتك واجلبي حقيبتك.

ـ والفتى الضائع؟ علي ان اشارك في البحث عنه.

ـ كثيرون غيرك يحاولون ولا بد من العثور عليه، عاجلاً ام آجلاً. لن يلومك احد لأن ذراعك مكسورة. هيا اسرعي، يا ابنتي، وتعالي معي الى لندن. السائق لا يستطيع الانتظار الى الابد.

فردت عليها قائلة بمنتهى اللطف والتهذيب:

ـ آسفة، يا اماه! لن اسافر معك، وما عليك الا ان تعودي وحدك. لست ادري كيف تطلبين مني الابتعاد عن زوجي.

ـ اذن، انا ذاهبة بدونك يا عزيزتي، مع تمنياتي القلبية لك بحياة سعيدة تتمتعين بها مع عمة زوجك الثرثارة وابنتها العبوسة.

قالت لها ذلك، ثم استدارت واتخذت طريقها نحو السيارة، وتبعتها دافنيا وهي تقول:

ـ سأذهب معك حتى السيارة كي اودعك هناك.

وعندما اصبحت في منتصف الطريق، التفتت اليها والدتها وهي تدفعها بيدها لتذهب عنها وتركها تكمل الطريق وحدها وتخاطبها بلهجة ساخرة قائلة:

ـ عودي واتركيني اذهب لوحدي. لكن تذكري بأنني لن اراك ثانية، ولا تنسي ان تبلغي عمك الخبر وانا واثقة بأنه سيدعم قرارك نظراً لتعاطفه مع مواقف السيد لويد، بصورة دائمة. الوداع! رجائي الأخير هو ان لا يطالك لهب النيران التي سيشعلها التنين في طريقك. مع السلامة!

وتابعت سيرها بدون ان تحاول معانقتها اطلاقاً. ثم ركبت السيارة، واشارت على سائقها بالانطلاق، في حين بقيت دافنيا واقفة

تتأمل السيارة الى ان توارت عن الانظار، ثم استدارت وهي تشعر بأن كلمة التنين لا تزال تضج في خيالها، فأيقنت لتوها ان قدرة غريبة جعلت والدتها تنطق بهذه الكلمة لتذكيرها ان الفتى تيم كان يجول حول مغارة التنين لتوديعه. فأسرعت الخطى نحو الفندق، وهي تتمنى رؤية الفتى تيم قد عاد مع لويد بسيارته التي توقفت في تلك اللحظة في ساحة الفندق.

وهنا دخل السيد هيو في الصورة ليشارك في البحث عن تيم، وكان هو الذي وصل، وليس لويد.

وما ان علم تفاصيل خبر اختفاء الفتى تيم حتى انطلق بسيارته نحو مغارة التنين، بعد ان ركبت دافينا الى جانبه، وراحت تتطلع حولها بحذر وانتباه وهي شاردة الذهن، فحسبها هيو كانت جادة ومتحمسة للبحث عن لويد اكثر منها للبحث عن ذلك الفتى، وبادرها القول مداعباً:

- اعتقد بأنك جادة في البحث عن لويد اكثر مما انت جادة في البحث عن تيم. توقعت للأمور ان تعود الى مجراها الطبيعي بعد تلك الليلة. وحسبي انني تصرفت بصورة صحيحة وصادقة عندما اتصلت به واخبرته عن وصولك المفاجىء.

- احقاً انت الذي اتصلت به! كنت اعتقد بأن عمته هي التي تلفنت له.

- نعم انا اتصلت به. فعلت ذلك خوفاً من ان تعودي من حيث اتيت.

- وهل كان ذلك هو السبب الذي دفعك الى دعوتي للخروج معك في تلك الليلة؟

- بين بين. وابلغت لويد الخبر.

- ويا ليتك اخبرت عمته ايضاً. الم تعلم انها اصبحت ترتاب في اخلاقي وسلوكي؟

- انها ترتاب في سلوك اية فتاة تخرج برفقتي باستثناء الآنسة

ريانون.

- وكيف تجري الأمور بينك وبينها الآن.

- يمكنك اعتبارها ساكنة. لكنني سأنتصر في النهاية.

- اعتقد ذلك.

في هذه اللحظة اصبحت السيارة قريبة جداً من مغارة التنين، فأوقفها هيو وترجل منها ثم راح ينادي على الفتى، بدون جدوى. عندها، فكر بالتوجه الى المغارة مشياً على الاقدام، وطلب من دافينا ان تنتظره في السيارة. ومضى هيو في طريقه نحو الرابية، بينما ترجلت دافينا وراحت تمشي على العشب. وما هي الا دقائق معدودة حتى شاهدته عائداً وهو يحمل الفتى تيم، والقى به داخل السيارة.

اما دافينا فقد فتنها منظر تلك الكتلة العارمة من الصخر اللازوردي الجاثمة امامها، فترددت في العودة معهما بحجة انها تود ان تمرح قليلاً في الهواء الطلق وبين احضان الطبيعة.

وهكذا عاد هيو بسيارته ومعه تيم، واتخذت دافينا طريقها الى المعمل الذي يؤهله لويد للانتاج، وبعد مسيرة قصيرة وصلت وراحت تدق الباب، عدة مرات، بدون ان تلقى جواباً من احد، ففتحت الباب ودخلت لتجد ان كل شيء كان على حاله كما تركاه ليلة البارحة، فجمعت الصحون والأواني وغسلتها. ثم رتبت الكراسي والسرير، ونفضت الغبار عنها، وازالت الرماد من الموقدة، مع اجراء بعض الترتيبات الاخرى هنا وهناك.

وفيما كانت متوجهة الى المطبخ لتحضر لنفسها فنجاناً من القهوة، لمحت وجود طاولة صغيرة في زاوية الصالون المتواضع عليها آلة كاتبة وبجانبها بعض الأوراق. تأملت هذه الأشياء لحظة وهي تصارع غريزة حب الاستطلاع، لكن فضولها انتصر، اذ وجدت نفسها تتحرك لا شعورياً نحو الطاولة، وتتصفح الأوراق الموضوعة عليها.

ودهشت عندما اكتشفت من طريقة الكتابة بأن مضمونها لا يوحي بأنه يضع كتاباً، وانما مذكرات، او شبه مذكرات. ثم توغلت في

قراءتها وهي تقلب الصفحات، صفحة تلو اخرى، لتكتشف بأن اسمها ورد في النص، اكثر من مرة، وزاد في دهشتها اكتشاف ان هذه الكتابة تعود الى سنتين مضتا، اي قبل سفره الى اميركا ببضعة ايام.

بلغت سعادتها ونشوتها الذروة حينما بدأت تقرأ مقتطفات منها، مثلاً: هي حبي وشيطاني في آن واحد. كثيراً ما كان الحب يدفعني للمجازفة بكل شيء في سبيل الكشف عن مدى حبي لها، ومدى حاجتي اليها لأعود واكف عن تلك المحاولة كي لا احملها المسؤولية الجسيمة والتضحيات التي ينطوي عليها الحب نظرا لحداثة سنها. . .

اعادت ترتيب اوراق المخطوطة، الى وضعها الطبيعي، وقد اغرورقت عيناها بالدموع، وهي تتساءل: ما الذي كان يمنعه من البوح بسر حبه لي، يا ترى! واسفاه على كل ذلك الوقت الذي هدرناه معاً ونحن نضرم نار الخلافات بيننا بدلاً من ان نستغله في سبيل انماء حبنا وتعزيز ركائزه.

فكرت بكل ذلك وهي تعيد قراءة المقاطع التي يعبر من خلالها عن حبه العميق لها، كأنها كانت لا تستطيع تصديق ما تراه عيناها مكتوبا على الورق يدعم الوعد الذي قطعه على نفسه ليلة البارحة من انه بصدد وضع الترتيبات النهائية لبدء رحلة شهر العسل الثاني بعد بضعة ايام. كانت متلهفة للتأكد مما يثبت لها حقيقة انسجام الأقوال مع الأفعال حتى تأكدت فهدأت بالاً واستقرت حالاً، ثم اخذت طريقها الى غرفة النوم وهي توعد نفسها بقضاء اول ليلة هانئة، حالمة، عرفتها طيلة حياتها الزوجية.

وعندما استيقظت شعرت بأن هناك من يشاركها وجودها في البيت، فنهضت من السرير وسوت شعرها، وغسلت وجهها، وارتدت ثوبها ثم خرجت لترى من في البيت. وكم كانت دهشتها عارمة عندما لمحت لويد جالساً في المطبخ وهو يشرب الشاي، فاقتربت منه بخطى وئيدة هادئة والقت يدها الناعمة على كتفه وهي

تهمس في اذنه:

- لويد!

ادار وجهه نحوها بسرعة وهو لا يصدق، وتأملها قليلاً وهو يبتسم لها كما لم يبتسم من قبل، وقال بلهفة:

- دافينا! ماذا تفعلين هنا؟ كان عليك ان تكوني الآن في طريقك الى لندن.

- وما الذي يدفعك الى مثل هذا التفكير؟

- قيل لي بأنك رافقتها؟ ما الذي غير رأيك؟ قلبك ام عاطفتك؟ ام انها رافقتك الى هنا؟

- كلا، يا لويد، لا هذا ولا ذاك. انها ليست هنا، بل هي في طريقها الى لندن الآن.

- كان من الأفضل ان تسافري معها، فليس لك هنا ما تحصلين عليه.

- بلى، يوجد. انت هنا، وهذا اقصى ما اشتهي الحصول عليه. . .

وكان لقاء اختلطت فيه الدموع، دموع البكاء بدموع الفرح، عادا والتقيا بعد فراق طويل كادت خلاله نار الفتنة ان تقودهما الى الطلاق والفراق. وكانت مصارحة بين قلبين، تواعدا على نسيان الماضي بكل مساوئه ونكباته، وتصميم على تتويج الحب الدفين بحياة اقسما على ان تكون حافلة بشتى انواع السعادة والطمأنينة والثقة المتبادلة الى الابد.